الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى – جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

عنوان المذكرة:

صورة العنف في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

– ابتسام مكيو

– رحاب بوشمال

إشراف الدكتور:

– أحمد موهوب

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ نجيم حناشي	جامعة جيجل	رئيسا
د/ أحمد موهوب	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ عبد المالك مسعودان	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018م

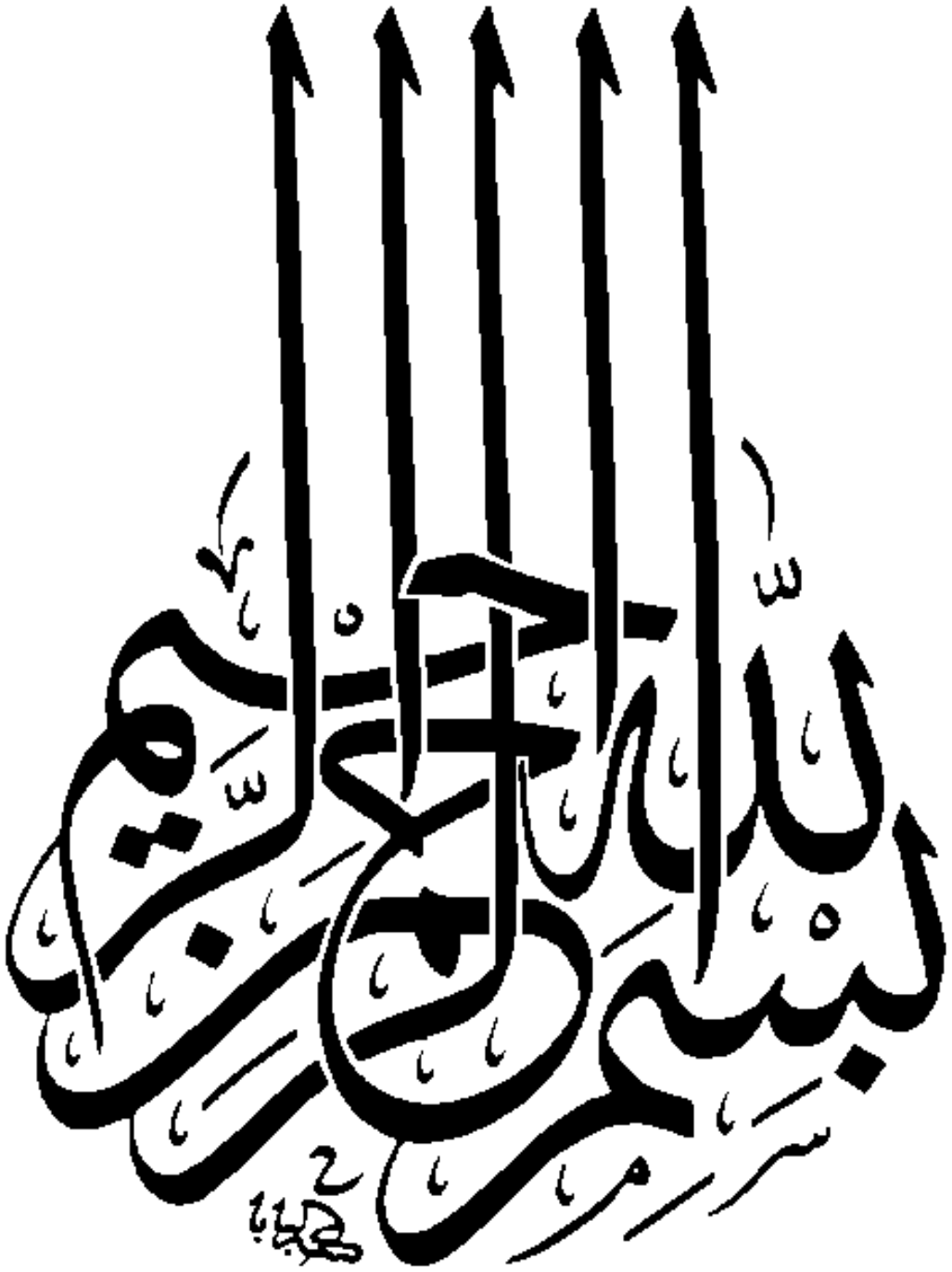
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

نحمد الله عز وجل ونشكره وهو أحق من يشكر على توفيقه لنا على إتمام هذا البحث.

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذنا الفاضل الدكتور

"أحمد موهوب"

الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وإرشاده لنا وصبره على أخطائنا وزلاتنا

كما لا ننسى أن تقدم أيضا بالشكر إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة وتقييم هذا البحث

وكل من أعاننا وساندنا في إنجاز هذا البحث ولو بالكلمة الطيبة.

مقدمة

يعتبر الأدب أيّا كان جنسه، انعكاسا للمجتمع، فهو فن يحمل في طياته مختلف التحولات التي يمر بها المجتمع عبر العصور، وبالتالي أصبح الأدب راصدا لمختلف جوانب الحياة والأدب الجزائري شأنه شأن الأدب العالمي.

ولعلّ أشد فترة عرفتها الجزائر بعد الاستقلال، هي فترة العشرية السوداء التي برزت بشكل لافت في التسعينات، فأثرت بشكل كبير أو بآخر في النص الروائي الجزائري، الذي تجسده النصوص الإبداعية الروائية وسميّ بأدب الأزمة، والواقع أن فترة التسعينات تجلت فيها المحنة وفرضت حضورها بقوة في الكتابة الروائية، باعتبار أنّ الرواية كجنس أدبي هي الوسيلة الأنسب للتعبير عن حياتنا المعاصرة، وبخاصة إذا كانت هذه الأخيرة متأزمة، من هنا جاء اهتمام الرواية بالأزمة التي طالت الواقع الجزائري طيلة عشرية كاملة، عصفت بالجزائريين وعرفت "بالعشرية السوداء" وسنين الجمر التي حملت طابع المأساة والتأزم.

مما لاشك فيه أن رواية الأزمة التي رصدت أزمة الجزائريين في كل مستوياتها السياسية والاجتماعية والدينية، كشفت عن مرحلة لا تزال غامضة وغير مفهومة لاسيما ذلك الصراع بين السلطة والجماعات الإسلاماوية المتطرفة، ليصبح التاريخ والسياسة والدين والثقافة والإرهاب مواضيع هامة فرضت نفسها على روايات الأزمة أو العشرية السوداء، فكان العنف تيمة مهيمنة على النص التسعيني ليفرض بدوره تصوير القتل والتعذيب والظلم والتطرف كحضور قوي في الكتابة الروائية الجزائرية فصورت مأساة الجزائريين، وماتت وتعطلت لغة الجزائر الطبيعية لتحل محلها لغة الموت والفناء، لغة لا تحمل المعاني الإنسانية سوى الخوف وموت القيم الرفيعة، في فضاء نصي كئيب، ومنه فاللغة المستعملة في هذا النص عنيفة دموية، هذا ما يرهن على مقدرة الكاتب الجزائري في التعبير عن الواقع، من خلال توظيف أشياء العالم الخارجي وبهذا أصبح النص الروائي ملزم بتحديد موقفه مما يحدث، وكان الروائي هو الصوت المعبر عن هموم الجماعة. مما أدى إلى نشاط الحركة الروائية الجزائرية إبداعا ونقدا

والاهتمام المتزايد للمبدع والمتلقي في العقود الأخيرة، وساهم في التراكم الروائي على أيدي بعض الأدباء الذين أوجدوا ما يعرف برواية الأزمة التي يبدوا أنها عرفت كيف تحاور وتتفاعل مع الفترة التسعينية المأزومة.

اخترنا رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه" التي ألفها "الطاهر وطار" لأننا نقف على دراسة لما تتضمنه من قضايا ومواقف وظواهر أهمها العنف، كون الرواية لها علاقة وثيقة بالأزمة الجزائرية، أخذت العنف والإرهاب مرجعا لها والذي أثر في بنيتها ومجراها، كما أنها طرحت وتناولت مختلف القضايا التي أنتجها العنف.

ومن هنا نتساءل كيف تجلت الأزمة الوطنية في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"؟ وهل استطاعت الرواية أن تنقل لنا تلك المأساة عبر متنها الروائية في صبغة فنية وجمالية؟ كيف تسممت الحياة اليومية للجزائريين بالعنف والرعب والدموية؟ وما هي أبرز تجليات العنف في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"؟.

إن طبيعة أجوبة هذه الإشكالات دفعتنا إلى السير وفق المنهج الوصفي التحليلي، بحيث وصفنا ووقفنا عند أهم صور العنف في الرواية الخاصة بالمجتمع الجزائري في مرحلة (العشرية السوداء) مع تحليلها والتدقيق فيها مع العودة إلى بعض الفترات التاريخية التي أشار إليها صاحب الرواية، دون نسيان الجانب الاجتماعي فيها والديني الذي أخذ مساحة لا بأس بها في الرواية.

أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فيمكن حصرها في أمرين: الأول ذاتي وهو شغفنا بالرواية عموما والعربية الجزائرية خاصة خلال فترة التسعينات، والثاني موضوعي وهو نقص الدراسات التي تناولت موضوع العشرية السوداء، رغبتنا في تسليط الضوء على فترة حرجة من التاريخ الجزائري، وتكمن أهمية بحثنا في النقاط التالية:

- محاولة الكشف عن بعض خبايا موضوع العشرية السوداء.

- التحكم في آليات البحث العلمي لهذا الموضوع.

لقد قسمنا البحث إلى مقدمة، مدخل، وفصلين، وخاتمة ثم قائمة جمعت المصادر والمراجع، وفي الأخير فهرس للموضوعات، وقد جاء كل جزء مقسما حسب ما تقتضيه طبيعة موضوعه، فالمدخل معنون بـ "مسار الرواية الجزائرية المعاصرة"، أما الفصل الأول فكان لـ "البحث في ماهية مصطلح العنف"، بينما خصصنا الفصل الثاني لتطبيق مدونة البحث والوقوف على ظاهرة العنف وأبعادها المختلفة في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار، وختمنا هذا البحث بجملة من النتائج المتوصل إليها وقائمة من المصادر والمراجع التي كان أهمها كتاب "الرواية والعنف" للدكتور "الشريف حبيلة"، وكتاب "لجعفر يابوش" بعنوان "الأدب الجزائري الجديد".

ولعل من أهم الصعوبات التي واجهتنا هو عدم إحاطتنا بجوانب كثيرة من وقائع (العشرية السوداء) وهذا يعود لطبيعة الموضوع الحساسة والشائكة، بالإضافة إلى قلة المصادر والمراجع في هذا الشأن، أضف إلى ذلك التوتر والإرباك – أحيانا– الذي أوقعتنا فيه بعض المراجع، ولنا أن نعيد أسبابه – دائما– إلى حساسية الموضوع وغياب جوانب كثيرة مسكوت عنها، لكن عملنا على تخطي هذه الصعوبات قدر المستطاع.

وفي الأخير نتوجه بشكرنا واحترامنا لأستاذنا الفاضل الذي أشرف على هذا البحث، والشكر موصول إلى أعضاء لجنة المناقشة التي تكبدت عناء قراءة البحث وتصويب هناته، فجزاهم الله عنا خير جزاء.

المدخل:

مسار الرواية الجزائرية

المعاصرة

أولا: الرواية العربية

ثانيا: الرواية الجزائرية

ثالثا: الرواية الجزائرية التسعينية

رابعا: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

أولا: الرواية العربية

يكاد يتفق معظم الباحثين على القول: « أنّ الرواية العربية وليدة العصر الحديث وما وجد من تراث قصصي في الأدب العربي لا يمكن اعتباره رواية بالمعنى الفني الحديث ليس هذا فحسب بل إن هذا التراث الحكائي المتسع لا يمكن اعتباره قصة، إذ إنّ للقصة أيضا شروطها وعالمها وفنيتها.. فبعض المحدثين يزعمون أن القصة رغم كونها قد عرفت عند العرب قديما فإننا لما نجد فيها عملا فنيا على تصوير البيئة ودرس النفسيات وإن كانوا قد عرفوا القصص فقد عرفوه وقائع وسرد حكايات ولم يعرفوه بمعناه الذي يجعل من الواقعة عملا قصصيا مركبا تركيبا فنيا».[1]

لقد اتخذت الرواية العربية كتابات ذات طابع تعليمي، واعتمدت الوعظ والإرشاد، وأهم الأعمال التي تمثل هذه المرحلة **''علم الدين'' ''العلي مبارك''** و**''ليالي سطيح''** لـ **''حافظ إبراهيم'' ''حديث عيسى ابن هاشم''** لـ **''محمد المويلحي''**، ولا يمكن أن تعد هذه المحاولات كتابة روائية بالمعنى الناضج بقدر ما كانت تجربة تجمع بين الفن القصصي والأدب التعليمي.[2]

كما كتب **''جورجي زيدان'' ''غادة كربلاء''**، و**''معروف الأرناؤوط'' ''سيد قريش''**، و**''سليم البستاني'' ''في جنان الشام''**، بالإضافة إلى أعمال كل من **''حافظ إبراهيم'' ''ليالي سطيح''**، و **''المويلحي'' ''عيسى ابن هاشم''**، و**''رفاعة الطهطاوي'' ''تخليص الإبريز في تخليص بارسي''**، حيث تؤكد هذه الجهود أنّ الرواية تواصل حضاري وفني وربط الماضي بالحاضر، ويعود هذا إلى المكانة التي أصبح يتميز

[1] أحمد أبو السعد: فن القصة، الجزء1، دار الشرق الجديدة، د ط، د ب، 1959م، ص39.

[2] ينظر: مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية، بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، ط1،د ب، 2005م، ص15.

بها الأدب باستعمال الأدوات الممكنة لتأكيد هويته وحضوره، ووجه في التراث بعدا جماليا استغله الكاتب لمراجعة التاريخ. [1]

ومع قدوم النصف الأول من القرن العشرين بدأ توظيف التاريخ يتسرب إلى الكتابة الروائية بشكل أوضح منذ أن ألف **''طه حسين''** و**''توفيق الحكيم''** (القصر المسحور) متأثرين بحكايات **''ألف ليلة وليلة''** وتلاها **''نجيب محفوظ''** الذي كتب (**ليالي ألف ليلة وليلة**) ثم **''هاني الراهب''** الذي كتب (**ألف ليلة وليلتان**) و**''مبارك ربيع''** في (بدر زمانه) وتفاوتت هذه الأعمال وغيرها في توظيف (**ألف ليلة وليلة**)، وبهذا فالرواية العربية حين وظفت بنية (ألف ليلة وليلة) لم تبقى في حدود التقليد، بل أحدثت تغييرات جديدة. [2]

وقد تميز نجيب محفوظ عن غيره من الروايتين، بتعدد أشكاله السردية وتعدد المواضيع والقضايا التي يتناولها في إطار رؤى مختلفة في تصوير مصر، وتشخيص فضاء القاهرة عبر امتداد تاريخ السلالات المالكة للسلطة والحكومة المتعاقبة، وبذلك يكون نجيب محفوظ المعبر عن تاريخ مصر، ومن أهم الروايات لنجيب محفوظ **''اللص والكلاب''** التي اتخذت طابعا رمزيا، حيث تعد الرواية من بين الأشكال التعبيرية التي تحتمل بنياتها تساكن الواقع واللاواقع وتقاطع الحقيقي والخيالي. [3]

عرفت الرواية العربية مجموعة من المحطات التاريخية والفنية، حيث تعتبر الأشكال السردية الحكائية القديمة ألف ليلة وليلة، سيرة عنتره بن شداد، وسيرة سيف بن ذي يزن، وسيرة الظاهر بيبرس...أنماط تراثية رواية عربية أصلية.

---

[1] مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية ، ص16.

[2] محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، المجلد1، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،د ب، 2015م، ص83.

[3] محمد الداهي: سيميائية السرد (بحث في وجود السنمائي المتجانس)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص286.

لكن صدمة النهضة والحداثة والانبهار بالحضارة الغربية والتهافت على الجديد الأدبي وتقليد الغرب في طقوسه وشكلياته، سبب القطيعة الإبداعية وانفصال الحاضر عن الماضي على المستوى التخيلي الحكائي والإبداعي السردي.

فقد جاء الجنس الروائي كما أجناس أدبية أخرى، وافد إلى البلدان العربية وليس في استقبال ثقافة مغايرة في بلد معين ، لكن هذا الاستقبال لا يستقيم إلا عندما يصبح العنصر الثقافي الوافد جزءا داخليا من ثقافة وطنية، أي عندما يتم تحويله بأدوات ثقافية وطنية تميزه وتسحبه من التاريخ الذي منه إلى تاريخ متميز لبلد يتميز في ثقافته وتاريخه. [1]

مثلما مرت الرواية الغربية بمسار نموها وتطورها، فإن الرواية العربية اتخذت لها مسارا في تطورها، وقد كانت للظروف السياسية والاجتماعية دور هام في مسار الرواية العربية، حيث نجدها بدأت رواية تعليمية اصطلاحية متأثرة في أسلوبها بالكتابات العربية القديمة كالمقاومة، فالظروف التي تسود العالم آنذاك دفعت بالمثقفين والأدباء إلى أن ينهجوا المنهج التعليمي في كتاباتهم ورواياتهم، وكان هم الأدباء الأول النوعية والتعليم المباشر، بأيسر الطرق وأنفعها، ولهذا كان عليه أن يخضع رواياته بأحداثها وشخصياتها للهدف الأخلاقي التعليمي، الذي يرى فيه السبيل لإنارة القارئ، فالأديب رسالة يحاول إبلاغها ويعالج من خلالها مشاكل مجتمعه، لأن غاية الرواية باعتبارها فنا هي تجسيد الحياة الإنسانية نحو اتجاه أعمق وأخصب. [2]

تأثر الروائيون بالفن الروائي الأوروبي، فقد اتجه جرجي زيدان إلى التاريخ وراح يستقي منه معلوماته، فكانت رواياته مزيجا من التاريخ والمغامرات العاطفية ولم يكن جرجي زيدان الوحيد الذي أرسى دعائم الرواية التاريخية بل

---

[1] ينظر: د.فيصل دراج: دلالات العلاقة الروائية، دار كنعان للطباعة والنشر، المجلد1، ط1، د ب، 1993م، ص1413.

[2] روجرب هينكل: قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، ترجمة: دكتور صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، المجلد2، ط2، 2005م، ص117.

كان هناك آخرون أمثال نجيب محفوظ، وكانت شخصيات رواياتهم مستمدة من التاريخ العربي الإسلامي، أو من التاريخ المصري الفرعوني.

إن كنا قد أولينا الرواية العربية في مصر أهمية، فهذا لا يعني انعدام هذا الفن في البلدان العربية الأخرى حيث أن لبنان وسوريا والعراق والسودان وغيرها من البلدان العربية كان لها دور في تطور الرواية على يد روائيين لا يقلون أهمية عن الروائيون في مصر.

ثانيا: الرواية الجزائرية

الواقع أن الأدب الجزائري يشبه إلى حد كبير كل حدث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئته الوطنية، فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي، وكانت صلة الجزائر بأوربا من أسبق الصلات التي نشأت بعد ذلك، فاستفادت من الصلة تجاريا وحربيا وإداريا، ولكنها لم تستفد من فكرها وحضارتها وفنها إلى أن جاء الاحتلال [1]، فالرواية في باقي الدول العربية لا تختلف في مراحلها عن الرواية في مصر، إلا أنها تأخرت في الظهور في بعض الدول، نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية مثلما حدث في سوريا والجزائر فيما بعد « فحقل الرواية العربية الحديثة واحد من تلك الحقول الضامنة، يتطلع إلى الارتواء من ينابيع الترجمة، وأنهار الإبداع وجداول النقد الواعي الهادف إلى الشرح والتفسير» [2].

سار هذا الفن متذبذبا فترة من الزمن كانت فيه الروايات المكتوبة روايات تسلية أكثر منها فنية، ولئن تأخرت الرواية في تونس والمغرب عن ركب الرواية العربية، فقد وجدت مجالا رحبا تمتعت به، لكن الرواية في الجزائر

[1] ينظر: سعد الله أبو القاسم: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت، ص21.

[2] أحمد سيد محمد: الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب ونجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت، ص12.

لم تظهر إلا بعد الاستقلال نظرا للظروف القاسية التي عاشتها الجزائر، باستثناء بعض المحاولات كرواية(**غادة أم القرى**) لأحمد رضا حوحو، و(الطالب المنكوب) لعبد الحميد الشافعي الشافعي، و(الحريق) لرشيد بوجدرة.

ويرى نجيب محفوظ أن هذه المحاولات بذور ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة في موضوعاتها أو في أسلوبها، وبنائها الفني، ويشير إلى قصة مطولة بعض الشيء ويقصد (غادة أم القرى) التي تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية، أما (الطالب المنكوب) لعبد الحميد الشافعي، فيرى أنها رومانسية في أسلوبها وموضوعاتها ومضمونها ساذج مثل طريقة التعبير عنها. [1]

وقد كانت من أهم نتائج الاتصال العربي بالغرب على المستوى الثقافي والأدبي، أن اعتنت المكتبة العربية بثمار الترجمة التي نمت في ظل الاتصال، ولذا كان من الطبيعي أن يخضع الأدب العربي بدرجات متفاوتة وباختلاف المرحلة والقطرية العربية للتأثيرات الغربية التي حملتها إليه الثقافات الأدبية المترجمة، ولكن كان لابد للظروف المحلية القومية والقطرية، إضافة إلى الظروف الدولية التي ظهرت في ظل الحرب العالمية الثانية وبعدها بشكل خاص، إذ تلعب دورا في إشاعة أنواع واتجاهات ومذاهب معينة من الكتابات. [2]

ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي والقصة القصيرة والمسرحية، رغم ذلك فهي أكثر الأجناس الأدبية حساسية اتجاه المجتمع، والنسيج الروائي كشبكة مؤلفة من شخصيات وحوادث ولغة، إنها تحديدا شبكة من العلاقات وتزامن الأحداث، لكن كما للرهان الاجتماعي أي للحالة الاجتماعية جوهره ودلالته وسياقه في مفهوم الروائي ورؤيته ككل، فالأدب ليس مجرد متعة وشكل متقن بل هو معرفة بمعنى علم. [3]

---

[1] ينظر: عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، الجزائر، د ط، 1974م، ص 119-120.

[2] ينظر: نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر (دراسات أدبية مقارنة)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، د ط، 2007م، ص114.

[3] ينظر: محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،د ب، 1981م، ص18.

يمكن القول إنّ الحركة الأدبية في الجزائر بلغت درجة من النضج والتميز في الكتابة الروائية، على الرغم من أنّ "عمرها الأدبي يعد قصيرا مقارنة بالرواية العربية في شأنها وتطورها". [1]

وصلت الكتابة الروائية إلى ظاهرة توظيف التاريخ وتمتد أحيانا إلى التراث العربي الإسلامي مادام التراث ليس ماضي فقط، بل يحدث تأثيرا في الحياة اليومية لينتقل إلى اهتمامات الكتاب. لقد ظل التراث لفترة طويلة يتحدد بفترة زمنية تنتهي إلى الماضي، لكن هذه النظرة بدأت تتغير وأصبح التراث لا يدل على فترة زمنية محددة بل يمتد حتى يصل إلى الحاضر، ويشكل أحد مكونات الواقع التي تعيش في وجدان الشعب، صحيح أن هناك بعض المحاولات التي نظرت إلى هذا التراث نظرة عابرة وبعضها توقف عند نماذج معينة، لكنه يبقى في حاجة إلى إعادة نظر وإلى قراءة جديدة تغوص في أعماقه.

"فالحاضر لا يمكنه السير منفصلا عن تلك الأيام الموغلة في رحم التاريخ، لابد من رؤية الحاضر بمنظور تاريخي ليمارس التاريخ دوره بوصفه محفزا على التجدد والانبعاث والبحث عن المستقبل الأفضل لن يتحقق إلاّ بتقصص الماضي، بوصفه تيارا يصب في الحاضر ويردفه بمكوناته". [2]

وقد تعددت الرؤى واختلفت المقاصد من إحياء التراث واستلهامه وإعادة قراءة التراث والوحدات السردية الدالة على الجوانب الإيجابية في التاريخ العربي، تأتي في إطار تطلع الذات التي تعاني إلى استعادة الماضي المجيد واستبداله بالحاضر القاتم [3] فيرد الماضي المجيد الذي يصر السرد الروائي على استحضاره في الرواية لوصفه حلما يرواد الجيل الجديد، ويذكرهم بما كان عليه أجدادهم من قوة وأخلاق حميدة، والعودة إلى التراث ليست ظاهرة خاصة بالعرب إنما شهدتها الحضارة الغربية نفسها عندما سعت في عصر النهضة إلى إحياء التراث اليوناني

---

[1] مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية، ص27.

[2] سعد الله محمد غانم: أطياف النص (دراسات في النقد الإسلامي المعاصر)، عالم الكتاب الحديث، د ط، 2000م، ص13.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص14.

والروماني"[1] وذلك كان هو ميدان الروائي الجزائري الذي خلق منه نماذج روائية يحاول من خلالها أن يعالج أفكارا وقضايا حساسة، وصراعا بين القديم والجديد، بل بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، ومن هنا نتج لدى الروائي إحساس قوي بكثافة هذا الواقع والذي من سماته انبهار الفرد الجزائري بماضي الأجداد المشرقة، فانفجرت العملية الإبداعية لديه، التي دفعته إلى أن يلجأ إلى الشخصية الرمزية، التي أصبحت علامة بارزة في طريق بناء معمار روائي أصيل، ترقى به الرواية الجزائرية إلى مصاف النماذج العربية والعالمية، من حيث كثافة الدلالة والصيغة الجمالية.[2]

وقد أكد الطاهر وطار: « على أنّ التجديد ليس قضية هامشية تتعلق بالشكل الخارجي لكنها قضية فلسفية تقوم في الأساس على نظرة الإنسان إلى الوجود والمجتمع، ومن هنا كان التحول في نظرة الإنسان إلى الواقع الذي يعيش فيه أصلا لكل تحول فنّي"».[3]

إنّ نظرة وطار إلى التجديد كونه قضية أساسية في عمل أي مبدع في المجال الأدبي، يجعله يتفاعل مع مجتمعه ومع التحولات التي تطرأ عليه لكونه يعكس كل ما هو معاش في واقعه.

ثالثا: الرواية الجزائرية التسعينية

لقد مرت الجزائر في التسعينات بمرحلة تاريخية عصيبة، تفجر فيها العنف بطريقة فجائية، وهو عنف ناتج عن تراكم تاريخي بدأ بالاحتلال وما فعله بالجزائريين من قمع وتنكير واضطهاد ووصولا إلى الصراعات السياسية بعد الاستقلال، والتي كانت امتداد لخلافات الأمس حين كان لكل توجه رؤيته الخاصة في تسيير الثورة لنيل الحرية والاستقلال، ومع الانفتاح السياسي في الثمانينات من القرن الماضي وتعدد الأحزاب السياسية بعد أحداث

---

[1] عامر مخلوف: توظيف التراث في الرواية الجزائرية، ص14.

[2] ينظر: بشير بويجزة محمد: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ط2، 2006م، ص106.

[3] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986م، ص94.

أكتوبر 1988م، عاشت الجزائر حالة احتقان وتصادم فكري واجتماعي وسياسي أفضى إلى موجة من العنف للتسعينات، وإذا كان للعنف دور في إعادة ترتيب ميزان القوى السياسية وإعطاء رؤية جديدة للتاريخ، فإن الكتابة الأدبية عندما تتخذه موضوعا لها تضفي عليه أبعاد جديدة تمارس عليه حساسيتها وجماليتها لتجعله أكثر بشاعة ووحشية. [1]

لذلك فإن الكتابة هي الوسيلة الوحيدة التي يملكها الكاتب لتجاوز محنتهن وتلطيف الأجواء التراجيدية التي تعيشها فئات المجتمع المختلفة، حيث تقوم النصوص الروائية في فترة التسعينات إلى شعرية الانتهازيين، والتنديد بمختلف الجرائم التي قاموا بها، إذ تتحول الكتابة هنا على حد قول داود إلى"نوع من الصراخ الموجه ضد الصمت القاتل". [2]

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تأسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجته، وبالواقع الاجتماعي الذي يشكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث بالظرف التاريخي الصعب الذي مرّ به [3]، وعلى سبيل الذكر رواية **''المراسيم والجنائز'' ''بشير مفتي'' 1998**م، هذه الرواية تصور مأساة وطنية، فمن خلال العنوان يأتي للقارئ أن هناك أجواء حزن وجنائز، إلى جانب رواية **''الانزلاق'' ''لحميد عبد القادر''1988م**، "الطاهر وطار" في روايته **''الشمعة والدهاليز''1995م**، **''واسيني الأعرج''** في **''سيد المقام''1995م**، حيث صور معاناة امرأة صادمة هزتها الظروف القاسية آنذاك، **''وثاء الخجل'' 2003م ''لفضيلة فاروق''** نص

---

(1) سعاد مختاري: ثيمة العنف في المتون الروائية، مجلة تاريخ العلوم، العدد4، جامعة تلمسان، د ت، ص53.

(2) محمد داود: الأدباء الشباب والعنف في الوقت الراهن، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد10، جانفي، أفريل2000م، ص36.

(3) شادية بن يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، الموقع الإلكتروني .www.diwanalarab.com/spip.plop?article37074

روائي يبين هذه المعاناة، إذ تصور الكاتبة في هذه الرواية محاولة تحرير المرأة، كما تناولت اغتصاب المرأة في الفترة آنذاك، وكذا رواية **''الورم'' ''لمحمد ساري''**. [1]

شهدت الساحة الأدبية الجزائرية منذ بداية الأزمة عددا معتبرا من النصوص الإبداعية التي كان موضوعها الأزمة، لكن الرواية كان لها الحظ الوافر نظرا لطبيعتها التي مكنتها من احتواء تلك التجربة الإنسانية، إضافة إلى امتلاكها مقومات البعد الوظيفي المأساوي والقدرة على تجسيدها فنيا، زيادة على تميزها بتوفير مجالات أوسع للبحث عن الذات وقدرتها العجيبة على احتواء هموم الإنسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا. [2]

ولهذا نجد أنّ جيل الشباب قد عبر عن مختلف التحولات التي ميزت مسار التجربة السياسية باعتباره عايش المحنة بتراكمها ووقف على إثرها، فهؤلاء الأدباء الذين حاولوا تغيير مسار الرواية الجزائرية وكسر ذلك الصمت المفروض عليهم. [3]

نستخلص مما سبق أن الإنتاج الأدبي التسعيني بصفة عامة والروائي بصفة خاصة تماشى مع واقع العشرية السوداء، وصور بكل صدق الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولازالت بعض الأقلام الروائية إلى يومنا هذا تنهل مضامينها من محنة الوطن.

رابعا: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

[1] سعاد مختاري: ثيمة العنف في المتون الروائية، ص 53- 54.

[2] ينظر: الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، المجلد1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص2.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

لقد ارتبط ظهور بدايات الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بتواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر، منذ أكثر من قرن ونصف القرن على أراضيها، ومن البديهي أن تنتشر اللغة الفرنسية بين أواسط المجتمع، وخاصة الفرد المثقف الذي تعرف على نبرة الفن الأدبي من خلال مدارسي المستعمر ولغته.

« والحديث عن هذا الأدب هو جزء من كل حيث كل جزء هاما في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر ولاشك في واقع أنه مدرسة جديدة من مدارسي الأدب الفرنسي إنما هو ازدهار كبير في أدب الجزائر (...) ومعنى ذلك أن هذا الأدب هو أدب عربي إنما كان مضطرا لاستعارة اللسان الفرنسي لظروف يعلمها الفرنسيون قبل غيرهم ».[1]

أصبح الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية ذا بعد إنساني عظيم عندما بدأ يعطي الأولوية والصدارة للمسألة الوطنية التي كانت ومازالت تعتبر جزءا لا يتجزأ من كيانه، والقضية المحورية لكل الكتابات التي أنتجتها تلك الحقبة التاريخية يوصلنا هذا الطرح إلى الاستنتاجات التالية: « أنّ هناك فرق ملحوظا بين الأدب الذي كتبه الجزائريون وبين ما كتبه الفرنسيون، وإن كان بلغة واحدة وفي بيئة واحدة، وهذا الفرق يتمثل في الرؤية»[2]، وهذا لا يعني أبدا أننا نتنكر للخصائص الإنسانية التي زخر بها أدب الكتاب الفرنسيين المتواجدين بالجزائر في الخانة التي صف فيها الأدب الفرنسي مبررا، بحجة أنها كتبا باللغة نفسها كما فعل الكثير من أدبائنا **"المعربين"** في تقييمهم لهذه التجربة الأدبية التي كانت وليدة ظروف اقتصادية وسياسية، واجتماعية وثقافية خاصة جدا.

يرى الدكتور مرتاض مثلا القضية بالشكل التالي، على الأقل في كاتباته السابقة «... وقد كان هؤلاء الكتاب الجزائريين في معظمهم بالفرنسية، معجبين كل الإعجاب بالحضارة الفرنسية بوجه خاص والحضارة الغربية

---

[1] محمد ديب: ثلاثية محمد ديب، الدار الكبيرة، الحريق، النول، تح: سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1985، ص5.

[2] عبد الله الركيبي: القصة القصيرة في الأدب الجزائري، ص243.

بوجه عام، جاهلين بالتاريخ العربي غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية»[1]، وإلى طروحات نفسها سبق أن ضمنها كتابه[2] الناقد الجزائري الدكتور محمد مصايف، لكن أحكاما مثل هذه هي في الحقيقة أحكام سابقة لأوانها وإن دلت على شيء فإنما تدل على غياب الإطلاع الواعي على الكتابات الأدبية الجزائرية باللغة الفرنسية.

يقول الأديب الجزائري **''مراد بوربون''**« إنّ اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل إنّ أيّة لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية»[3]، أي أن المسألة ليست مسألة الإعجاب بالحضارة الفرنسية أو عدمها إنما القضية قضية ظرف تاريخي، كان أكبر من مجرد الرغبة في الكتابة باللغة العربية، بالإضافة إلى أن اللغة ليست ملك أحد.

تؤكد الدراسات التي قام بها المختصون في الأدب الجزائري، على رأسهم **''جون ديجو'' ''John Dejo''** أن أولى الروايات التي اضطلع بها الجزائريون إبان حقبة الاستعمار الناطقة بالفرنسية تعود إلى سنة (1920م)، ممثلة في رواية (أحمد بن مصطفى القومي) ألفها القايد بن الشريف[4]، يعد "ديجو" الانطلاقة الحقيقية لهذا الأدب المكتوب بالفرنسية.

وتوالت بعد هذا العمل التأليفات الروائية التي شكلت مرحلة الإرهاص، نذكر منها رواية الكاتب الجزائري حاج حمو (أخ الطاووس) سنة 1926م، وروايته الثانية (زهرة زوجة عامل المنجم)، وهي في جملتها ليست سوى علامات تاريخية لا ترق إلى المستوى الفني أو الفكري الناضج[5]، وبالتالي لا يمكن عدها تأسيسا حقيقيا للرواية الجزائرية الناطقة بالفرنسية.

---

(1) عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، ص20.

(2) محمد مصايف: في الثورة والتعريب، ص109.

(3) محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، وثيقة11، ص74.

(4) سليم بثقة: الرواية الجزائرية، سرد الرواية ورهانات الكتابة، الموقع الإلكتروني: www.alrowace.com/article.php2id:667.

(5) إدريس بودية: البنية والرواية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، ط1، قسنطينة، 2000م، ص14.

يكاد يتفق جل النقاد والباحثين على أن فترة الخمسينيات كانت مرحلة حاسمة في مسيرة الرواية الجزائرية الناطقة بالفرنسية، إذ ظهر خلالها رواد كبار بلغوا بأعمالهم مكانة عالية في الفن الروائي أمثال: **مولود فرعون محمد ديب، كاتب ياسين، مولود معمري** وغيرهم، وقد كانت روايات هؤلاء حجة على بطلان إدعاءات المستعمر.[1]

ولم يقف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية عند هذا الحد بل واصل تطوره عقب الاستقلال وكان امتداد لما قبله، بحيث عبّرت روايات الستينات في معظمها عن واقع الثورة وذلك بتصوير عمليات المقاومة في **''عالم** الأطفال الجديد" لآسيا جبار والتحدث عن الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون في **''أصابع النهار''** لحبيب بوزاهر، فهذه الأعمال قد انحازت للثورة وتغنّت بما حققه الشعب بعد جهد مرير.

لكن في مقابل هذا هناك من توقف عن الكتابة مثل **''مالك حداد''** والكثير منهم قل إنتاجه بعد الاستقلال وبعضهم الآخر بقي بنفس حماسه ونشاطه، كما ظهر روائيون جدد على رأسهم **''رشيد بوجدرة''** و**''ياسمينة خضرا''** الذي ظهر مؤخرا.

« واتخذت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بعد منتصف الستينات توجها جديدا في ظل مرحلة جديدة عرفت بمرحلة التشييد والبناء وعلت على هذا الإتجاه النزعة الانتقادية لسياسة البلاد إثر الفوضى العارمة بسبب الصراع على السلطة فنجد **''رقصة الملك'' ''ladance du roil'' ''لمحمد ديب'' و''المؤذن'' ''Muezzin'' ''لمراد بوربون''** و**''ضربة شمس'' ''لرشيد بوجدرة''** وغيرها من الكتابات التي اشتركت في نقدها اللاذع للجو البيروقراطي الذي ميز البلاد مع اختلاف الطرق الفنية لكل كاتب».[2]

---

[1] حفتاوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د ط، د ت، ص162.

[2] ينظر: واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص76.

وقد استمر الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يأخذ موضوعاته من الواقع فيرصد مختلف التحولات التي تطرأ على البلاد إلى يومنا هذا، وتبقى الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مكسبا هاما للأدب الجزائري رغم الاختلافات القائمة حول انتمائها وهويتها، فهي تبقى أدبا التحم بالواقع الجزائري وبالشعب فعبر عنه وعبّر له وساهم سواء من قريب أو من بعيد في تحرير الوطن وإيصال القضية الجزائرية إلى الهيئات الدولية، فتجاهل هذا الأدب إجحاف في حق حامليه الذين وإن تشبعوا بثقافة غربية إلاّ أنهم بقوا أوفياء للوطن الذي أنجبهم.

الفصل الأول:

بحث في ماهية مصطلح العنف

أولا: المفاهيم الأساسية للعنف

1- المعنى اللغوي

2- المعنى الاصطلاحي

ثانيا: أشكال العنف

ثالثا: العنف في العلوم الإنسانية والاجتماعية

1- العنف الفلسفي

2- العنف النفسي والاجتماعي

3- العنف الديني والثقافي

4- العنف الاقتصادي والسياسي

رابعا: تجليات العنف في الأعمال الروائية الجزائرية

أولا: المفاهيم الأساسية للعنف

لقد تعددت التعاريف وتنوعت المفاهيم حول العنف، ولهذا أردنا أن نقوم بضبط مفهوم هذا المصطلح ولضبط أي مفهوم ضبطا دقيقا لابدّ من البحث عن أصله اللغوي، ثم معناه الاصطلاحي.

أ- المعنى اللغوي:

في اللغة العربية جاء في "لسان العرب" لابن منظور بمعنى الخرق والتعدي فنقول عنف أي خرق ولم يرفق وهو ضدّ الرفق: عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة، أي قسَا عليه، وهو عنيف إن لم يكن رفيقا في أمره، ونقول اعتف الأمر أي أخذه بعنف، وأعنف الشيء أخذه بشدة وقسوة. [1]

ورد في قاموس المحيط معنى لغويا للعنف وهو:

"العُنفُ، مُثلثة العين: ضد الرفق، عَنُفَ، كَكَرُم عليه، وبه واعنفته أنا، وعنّفتُه تعنيف، والعنيف: من لا رفق له بركوب الخيل، والشديد من القول والسير، وكان ذلك منّ عُنْفة بالضم وبضمتين واعتنافا، أي ائتنافا، وعنفوان الشيء، بالضم وعنفوّه، مشددة، أولُه أو أول بَهْجبه، وهم يخرجون عُنْفُوانا عَنَفَ، بالفتح: أولا فأولا...واعتنق الأمر: أخذه بعُنف، وابتداهُ وائتنفه، وجهله....وطرق معتنف: غير قاصد"[2]

إذن فإن العنف في اللغة من خلال القواميس كل من لسان العرب والقاموس المحيط يشتركان في معنى واحد للعنف هو قلُّ الرفق أو عدمه.

---

[1] جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور أبي الفضل: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط5، 2005م، ص303.

[2] الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص240.

ب- المعنى المصطلحي:

تعددت تعريفات العنف كمصطلح، وذلك حسب المعرف والغرض من التعريف وميدانه، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

- العنُف: بضم العين وتسكين النون ومعالجة الأمور بالشدة والغلظة، وهذا التعريف يتسم بالعمومية، حيث هناك غموض في ماهية الأمور، كما أن اقتصر على المعالجة الفعلية. [1]

وهذا ما نجده في تعريف العنف بأنه "عادة إلحاق الأذى والضرر بالآخرين بحيث يكون هذا العنف إما ماديا أو جسميا، أو نفسيا أو معنويا بوسائل مختلفة تسبب للمتلقي آلاما وخسائر متفاوتة". [2]

كما أنه يقترن بالقوة وهذا من خلال ما عرفه به جون فرويد j- freud "القوة التي تهاجم مباشرة شخص الآخرين وممتلكاتهم بقصد السيطرة عليهم بواسطة الموت والتدمير والإخضاع والهزيمة". [3]

كذلك يمكن أن نقول عنه انه انحراف السلوك كما يذكر "جون سبيجل" "jean Spiegel" « أن العنف هو نوع من الانحراف السلوكي يشتمل على المبادرة والإعتداء وقد يستخدم بصفة فردية، أو بصفة جماعية ضد فرد أو مجموعة أفراد، من أجل فرض رأي معين رغما عنهم».[4]

---

(1) مسعود بوسعدية: ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، د ط، 2011م، ص7.

(2) عبد الرحمان تبرماسين وآخرون: السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، دار العربية للعلوم ناشرون، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ط1، 2012م، ص107.

(3) فليب برنو وآخرون: المجتمع والعنف، تر: الأب الياس رخلاوي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د ط، 1957م، ص15.

(4) محمد حسن أبو العلاء: العنف الديني مصر، دراسة في علم الاجتماعي السياسي، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة، ط2، 1998م، ص164.

وإذا نظرنا إلى "تعريف محمد عاطف غيث" فيعرفه بقوله « هو فعل ممنوع قانونيا وغير موافق عليه اجتماعيا» والمقصود هنا هو أن: العنف سلوك لا اجتماعي والقانون يعاقب عليه وذلك نظرا للأضرار التي يخلفها ومنه فإن العنف سلوك ضد اجتماعي، ولهذا فنحن ملزمون بتقديم مفهوم للعنف. [1]

العنف هو سلوك يصدر من فرد أو مجموعة تجاه آخر أو آخرين، ماديا كان أم لفظيا، مباشرا أم غير مباشرا نتيجة للشعور بالغضب، أو الإحباط، أو للدفاع عن النفس أو الممتلكات، أو الرغبة من الانتقام من الآخرين، أو للحصول على مكاسب معينة ترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر حيث ينطوي هذا التعريف على مجموعة من الخصائص التي إذا توفرت في سلوك معين كان السلوك عنيفا، وهذه الخصائص تتمثل في تعمد الإيذاء، وقد يكون العنف فرديا، أو جماعيا موجها نحو الذات نفسها أيضا، أو ذا طابع مادي أو لفظي وقد يكون العنف إستجابيا، وأخيرا قد يكون العنف مشروعا أو غير مشروع. [2]

كما أنه يجمع سلوكيات متنوعة وهذا ما ذهب إليه **"إبراهيم محمود"** يقول في تعريفه للعنف: أن العنف ليس حالة ظريفة أنية بقدر ما هو أكبر مظاهر الوجود الإنسانية....؟ أو يخف تأثيره انطلاقا من الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافة وهو سلوك يجمع اشتقاقات يتميز بها، فالعدوان والاستبداد والقمع والظلم والقتل والعبودية والإهانة والتعذيب حالات للعنف، يكون العنف صورا متعددة تأخذ به الدولة ضد جماعة معينة أو جماعات أو فرد بعينه أو بصفة أفراد، أو تقوم به جماعة ضد أخرى، أو فرد ضد آخر، وفي جميع الحالات يكون العنف مركزا على إذلال أو ترقيع أو تحطيم، طرف من قبل طرف آخر. [3]

---

[1] محمد عاطف غيث: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ط1، 1986م، ص441.

[2] عدلي محمد السمري: سلوك العنف بين الشباب، ورقة بحثية قدمت في الندوة السنوية السابعة، "الشباب ومستقبل مصر"، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، د ط، 2000م، ص3- 4.

[3] إبراهيم محمود: المثقف العربي والعنف ظاهرة العنف في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد140، أكتوبر 1990م، ص23.

ويتضح من التعاريف السابقة أن العنف هو ذلك السلوك المقترن باستخدام القوة الفيزيائية والمانع للمودة وهو السلوك الموجه من شخص لطرف آخر، كما يقترن بالإكراه وإخضاع طرف لإرادة طرف آخر، وقد أخذت هذه التعاريف بمعنى ضيق للعنف لا ينفصل عن المعنى الإبستمولوجي للكلمة أي استعمال القوة وهذا يمكن إلحاق الفعل العنيف مباشرة بالقوة، والقوة يمكن اعتبارها من جانب آخر على أنها منظمة ومضبوطة تقف أمام العنيفين.

أما بعض التعاريف فتحاول لأن تخرج مفهوم العنف من دائرته المادية لتتوسع حدوده أكثر فأكثر وتشمل البعد المعنوي والثقافي والرمزي، وهكذا نجد تعريف "أرون Aron"« بأنه فعل يمثل تدخلا خطيرا في حرية الأخر وحرمانه من التفكير والرأي والتقدير وتحويله إلى وسيلة أو أداة لتحقيق أهدافه دون أن يعامله كعضو حر كفئ»[1]

هكذا العنف نجده بسلوكياته المختلفة والمتنوعة، وأبعاده لتفتح حدوده أكثر فأكثر، لذلك نجد للعنف أصنافا وأشكالا متعددة، بالإضافة إلى أنواع أخرى.

– العنف والعدوان:

يعرف "ميشيل كورناثون M.kournatomne" العنف في معرض اعتراضه على محاولة البعض جمع مظاهر العنف تحت مصطلح (العدوانية) بقوله« إن العدوانية هي احتمالية العنف، وهذا تعبير محايد أكثر حيادا من مصطلح (العنف) يتسم بسمة أخلاقية شديدة، فالعدوانية هي استعداد دفين إلى أعماق الإنسان، أما العنف فإنه الممارسة الناجمة عن العدوانية التي تكمن وراءه»[2]

[1] فيلب برونو وآخرون: العنف والمجتمع، ص152.

[2] عبد الله عبد الغني غانم: جرائم العنف وسبل المواجهة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ط1، 2004م، ص10.

كما نجد نظرة **''الزاشستر Alzachestre''** محاولا ربط بين العنف والعدوان، فهو يرى بأن «العدوان هو السلوك الذي يعكس الصراع الاجتماعي والذي يهدف لإلحاق الأذى الفيزيائي والنفسي أو الاجتماعي»[1] من الواضح أن هذا التعريف يخلط بين العدوان والعدوانية والعنف.

وبالتالي فإننا نجد مفهوم العدوان « هو عبارة عن فعل عدواني، كما أنه يشير إلى استخدام القوة والعنف بالإضافة إلى أنه محاولة تدمير ممتلكات الغير، وهي نتيجة شعور الفرد بالإحباط والفشل في تحقيق حاجاته ورغباته حسب عالم النفس **'' أدلرAdlor''** أما عند **"فرويد'' ''Freud''** فهو يرى أنه سلوك واع ناجم عن غريزة الموت»[2]

كما نجد للعدوان أنواعا متمثلة في: العدوان المباشر والعدوان المستبدل والعدوان الصريح والعدوان العام وسندرج تعريف كل نوع على حدى.

1– العدوان المباشر Direct Agression: هو موجه مباشرة إلى الشخص أو الشيء الذي تسبب عنه الفشل.

2– العدوان المستبدل Disploced: ويتجه العدوان فيه إلى شخص أو شيء لم يتسبب في العدوان وذلك خوفا منه، فينتقل العدوان إلى موضوع آخر أقل مقاومة، بالإضافة إلى أنواع أخرى.

3– العدوان الصريح أو العلني Afee Agression: وهو يتضمن القصد لإزالة الضرر لأي كائن حي [3]

4– العدوان العام: يتجه فيه الشخص إلى المجتمع ككل دون أي ذنب لهم. [4]

---

[1] المرجع السابق، ص11.

[2] أمال رداف: أشكال العنف في مدينة قسنطينة دراسة ميدانية بالمدينة الجديدة، علي منجلي، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007/2006م، ص12.

[3] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تعريف العدوان، الموقع الإلكتروني http//alpha-sos.org shoulherad.plip

[4] أمال رداف: أشكال العنف في مدينة قسنطينة، ص12.

5- العنف والقوة: لو تأملنا في تعريف العنف فإننا نجده مرتبطا ارتباطا وثيقا باستخدام القوة والشدة، فيما نجده في تعريف **''ريتشارد نارندروف Retchard Naranalouf''** بقوله: « أصل الكلمة العنف في علم الاتيمولوجيا Etgmology وهو مصطلح يشير إلى الإساءة واستعمال القوة والتعسف في استخدامها ومهاجم ما كفل له القانون الحماية من خلال الضبط الاجتماعي».[1]

ويمكن ربط العنف بعناصر مشابهة أو متداخلة مثل

6- العنف والإساءة: كما أشرنا فيما سبق أن تعريف العنف بقول **''ريتشارد نارندروف''** الذي يرى « أصل كلمة العنف في علم الاتيمولوجيا هو مصطلح يشير إلى الإساءة، والأصل أن الفرق بين المصطلحين واضحا ما أردنا إعطاء تعريف الإساءة فيمكننا القول أن الإساءة: أي فعل يقوم به أحد الأفراد ويتغير قصد إيقاع الضرر بشخص آخر».[2]

لو نظرنا إلى الإكراه فنجد له معنى وتحديد إذا رجعنا إلى رأي عالم الاجتماع الفرنسي **''إميل دوركايم I.Dourcaim''** في هذا الموضوع، فنجد رأيه كان واضحا وبارزا من خلال مقولته الآتية: «... يستدل على الواقع الاجتماعي بالقدرة على ممارسة الضغط الخارجي تجاه الأفراد ووجود هذه القدرة يستدل عليه بالدور الذي يؤديه الفرد، وذلك إما بوجود عقوبة محددة، وإما بالمقاومة التي تنبع من هذا الواقع تجاه كل محاولة فردية تنطوي على العنف نحوها».[3]

---

[1] عبد الله عبد الغني غانم: الجرائم والعنف وسبل المواجهة، ص14.

[2] مختار رحاب: العوامل السوسيوثقافية لظاهرة العنف لدى الشباب الجامعي، رسالة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م/2010م، ص68.

[3] فليب برنو وآخرون: المجتمع والعنف، ص79.

بالإضافة إلى الصراع، والجريمة والانحراف، والانتهاك، وغيرها من السلوكيات التي تلحق الضرر بالآخر ويجلب معه سلوكيات أخرى من الغضب والتدمير والسلوك الشاذ القريبة لمفهوم العنف.

ثانيا: أشكال العنف

لقد تعددت الآراء وتباينت فيما يتعلق بأشكال العنف، فمنهم من يرى بأن أشكال العنف هو العنف الفردي والجماعي في حين يذهب البعض لاعتبارها نمطاً للعنف، وإذا تمعنا في تعاريف العنف نجدها:

1- العنف الجسدي والعنف المعنوي:

1-1- العنف الجسدي (البدني): هو استعمال القوة العضلية وحدها أو مستعينا بوسيلة أخرى كالسيوف والسكاكين، الحجارة، الرماح....، وهدفه هو إيذاء الآخر عن طريق الإصابة الجسمانية عند الضحية.

فالعنف الجسدي هو التسبب في الجروح او الكسور أو الحرق...، نتيجة الرفس أو اللطم. [1]

1-2- العنف المعنوي (الشفوي): إن تناول ما جاء في بعض التعاريف حول العنف يبين أن بعضها يؤكد ليس على الجانب المادي للعنف، وحسب العالم **"ريمون" "RAYMOND"** نعو عنف كل مبادرة تتدخل بصورة خطيرة في حرية الآخر، وتحاول أن تحرمه من حرية التفكير والرأي والتقدير، وتنتهي خصوصا بتحويل الآخر أو وسيلة أو أداة من مشروع يمتصه، ويكتنفه دون أن يعامله كعضو حر وكفء. [2]

ومن خلال هذا التعريف يتجلى لنا بوضوح أن العنف المعنوي هو كل اعد شفوي أو حركي في صورة شتم أو سب، تجريح وإهانة، حركات استفزازية للآخرين، وبهذا تكون تأثيرية أكثر شدة على الجانب النفسي وتحتاج

---

[1] مطاوع محمد بركات: العدوان والعنف في الأسرة، مجلة الأحرار، ع795، أكتوبر 2000م، ص154.

[2] فريق من الأخصائيين: المجتمع العنف، تر: إلياس زحلاوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د ب، ط3، 1993م، ص154.

الضحية عندئذ إلى وقت طويل للتخلص منها وبمساعدة أكثر تركيزا، والعنف هو الإيذاء باليد أو اللسان أو الفعل أو الكلمة وهو التصادم مع الآخرين.

2- العنف المشروع والغير مشروع:

2-1- العنف المشروع:

هو كل نوع من أنواع استخدام القوة لتنازع الحقوق والقرارات على النحو الذي يرفع الظلم كطرد الاحتلال أو استعادة الأرض، وكف الظلم الاجتماعي، والدفاع المشروع على النفس، وهذا الأسلوب لا مناص منه إذ يُعد تحصيل الحقوق بشكل كبير سلميا. [1]

2-2- العنف الغير مشروع: هو كل استعمال للقوة للاحتفاظ بحق مزعوم أو حق غير مشروع، كما أنه يعتبر العنف الذي يخالف المعايير الاجتماعية والقانونية على اختلاف أساليبها. [2]

فالعنف الغير مشروع هو استخدام القوة أي الخروج عن الإطار المحدد والمتداول عليه وغير مطابق للقانون، بمعنى هو سلوك لاعقلاني مؤدي، غير متسامح. [3]

3- العنف الفردي والمادي والدولي:

3-1- العنف الفردي: العنف ظاهرة تمس الفرد بالدرجة الأولى، كما يمكن أن تمس جماعة عن طريق تلقي العنف أو ممارسته وفي جميع الحالات، فإن تأثير العنف يقع على الفرد أولا، فالخوف الذي يشعر الفرد والقلق

---

[1] عاطف عدلي العبد العديد: مدخل على الاتصال والرأي العام، مج1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1993م، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة: حرية التعبير – حرية التفكير- حرية الرأي- منتديات قلب الجزائر، الموقع الإلكتروني:Pholofe.Foumarabia.Net.//t95.Aopic 2016/02/10 11:15.

الذي يعيشه، هي حالات يعيشها الفرد تجنبا للعنف الظاهر والذي يعبر عنه عن طريق سلوكيات عنيفة معبرة كالصراع، الغضب والتكبر، أما إذا أبقى هذا الإحساس داخليا فيمكن أن يعبر عنه بالعنف الداخلي أو الباطن الذي يعيشه الفرد دون سواه من الأشخاص المحيطين له، إلى أن يجد مخرجا للتعبير عنه وهو عنف قابل للانفجار ويعيش حالة التوتر وتبقى دفينة في نفس الفرد ويكون العنف سريع الإندلاع، وبهذا يتحقق الارتباط بين الفرد والعنف الكامن فالفرد يحب الزعامة والسيطرة والشغف بالقوة والمخاطرة...لهذا تترابط العلاقة بين العنف والفرد [1]

فالعنف الفردي هو الذي يلحق الضرر بالجسد أو السلامة لشخص ما، وقد يكون المتضرر من العنف هو الشخص ما، وقد يكون المتضرر من العنف هو الشخص الممارس عليه ذاته، إذا واجه الاعتداء نحو نفسه ومن مظاهر الانتحار تعذيب الفرد نفسه، وقد يكون المتضرر شخص آخر، والتعدي على حريته أو المساس بجسده.[2]

والعنف هو صورة الأنا والأنانية في الفرد والأنا العلاقة بينهما مضطردة، فكلما زادت الأنا كان العنف هناك....، فالزندقة والتهجم وإهانة الشخصية كلها عوامل تزكي الأنا العدوانية عند الفرد وتزيد من حساسيتها ويمكن تقسيم فئة هؤلاء الأشخاص الذين يميلون إلى هذا السلوك إلى ما يلي:

- فئة المتطرفين: أشخاص شكل العنف لديهم هو جزء أساسي من سلوكياتهم بسبب تحقيق أهدافهم في الحياة.

- فئة الخلق المتسلط: ويتصفون بالشخصية السدومازوشية Sadmasosihista* معجبون بالسلطة ويريدون الإخضاع لها.

---

[1] فريق من الأخصائين: المجتمع والعنف، ص22.

[2] حسيني صفوان حسام: ظاهرة العنف في الجزائر والصحافة المكتوبة دراسة وصفية تحليلية، أطروحة دكتوراه في علم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005م، ص14.

* السدومازوشية : هو كل عمل جنسي خارج الشعور، هو نوع من العنف لذلك إذا أقام اثنان بحالة سكر لاوعي علاقة جنسية يتبعه بكاء المرأة وتعب الرجل من الفعل الجنسي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الموقع الإلكتروني: http://alpha-aco.org/showthead.php?ts=593.20/04/2016.14 :15.

كما نجد هذه الفئة من الانتحاريين الذين تناولهم **''دوركايم Dourcim''** في دراسة لظاهرة الانتحار الذي هو شكل من أشكال العنف الذاتي ويقبلون عليه وهو في أشد الانجذاب إليه دون تفكير. [1]

3-2- العنف الجماعي: هو صورة من صور القوة تتضمن جهودا تستهدف تعمير أو إيذاء موضوع يتم إدراكه كمصدر فعلي من مصادر الإحباط والخطر كرمز لها. [2]

3-3- العنف الدولي: هو نمط آخر للعنف يعبر على شمولية الصراع بين الدول ويبرز في شكل حروب وفرض الحصار من بعض الدول على البعض الآخر. [3]

فعنف الدولة لا يكون مشروعا إلاّ ما تكون هذه الدولة قائمة على أساس مشروع أي الانتخابات الحزبية التعددية السياسية، وتداول السلطة وفصل السلطة، لكن يفترض هنا أنّ العنف هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على العنف أي مواجهتها بالقوة. [4]

4- العنف الأسري (العائلي):

العنف داخل الأسرة هو أحد أهم أنواع العنف من حيث القدم والانتشار، وحظي باهتمام كبير من المهتمين والعاملين والباحثين في المجال الاجتماعي، وقد طور البعض مؤشرات لقياس هذا النوع تضم الضرب بأنواعه بما فيه البسيط والتهديد بالضرب والتهديد باستخدام الأدوات المختلفة بما فيها السكاكين والأسلحة والاستخدام الفعلي لهذه الأدوات والطرد، وحسب الحرية والحرمان من الحاجات الضرورية والإرغام على القيام

---

[1] جمال معتوق: وجوه من العنف ضد النساء خارج بيوتهم، أطروحة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993م، ص28.

[2] د.عزب: تق: د.فؤاد زكرياء، سيكولوجية الإرهاب والجرائم والعنف، دار سلال، الكويت، ط1، 1988م، ص118.

[3] حسيني صفوان حسام: تناول الإعلام لظاهرة العنف في الجزائر من خلال الصحافة المكتوبة، ص14.

[4] عن ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تعريف العنف الدولي، الموقع الإلكتروني: Plilofe.foussarabia.net//t95 :topic 11/03/2015.14 :25

بفعل ضد الرغبة الخاصة والشتم والتوبيخ، ولأن نسبة معاقبة الآباء الأبناء على قيامهم بعمل غير اجتماعي أو التقصير في الوجبات، فالضرب بجميع أنواعه يتعلق بالزوجة أو الزوج ويتعلق الضرب المبرح بجميع أفراد الأسرة. [1]

ولعل من أجمع تعاريف العنف الأسري اصطلاحا أنه: « فعل لفظي أو بدني أو إكراه موجه إلى شخص ويتسبب عنه أذى جسدي أو نفسي أو حرمان، ويعمل على وضع الشخص في مرتبة أدنى».[2]

نجد أن الأسرة بمثابة المهاد للمرأة مما يجعلها تتقبل الوضع الذي يفرض عليها المجتمع، فإنها تكون عرضة للقهر، وربما أن الأسرة هي المهاد الذي تعامل المرأة بطريقة تجعلها تتقبل الوضع الذي يفرضه عليه المجتمع فإنها تكون عرضة القهر.

5- العنف ضد المرأة:

يعرفه "إعلان القضاء ضد النساء" لعام 1993م الصادر عن الجمعية العاملة للأمم المتحدة العنف ضد المرأة بأنه: « أي فعل عنيف فيه عصبية الجنس ويرتب عليه أي رجعة أن يترتب عليه أذى» أو معاناة للمرأة سواء من الناحية الجسدية او الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة. [3] يستطيع حماية نفسه إلاّ تحت وصايته وهذا راجع لتلك الأفعال التي يتمتع بها المجتمع العربي عامة والجزائر خاصة، وهذا بدوره جدلية بين المعنف والمعنف

[1] مصطفى عمر النير: العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ط1، 1997م، ص 17-18.

[2] خالد بن سعود الحليبي: العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، حملة الحد من العنف الأسري، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، د س، ص 8-9.

[3] مرفت تلاوي: العنف ضد المرأة، 15 محمد محافظ متفرع من شارع الثورة، المهندسين، الجيزة، مصر، ط1، 2012م، ص11.

وهذا ما نلاحظه في النصوص الأدبية الجزائرية التي نجد فيها ذلك الارتباط الوثيق بالواقع الاجتماعي القاهر للمرأة، إنها تعبر عن أشكال القهر، العنف، الفقر، والاغتراب الذي يعيشه أفراد المجتمع الجزائري وخاصة المرأة. [1]

والعنف ضد المرأة يأخذ أشكالا متنوعة نجدها تتمثل فيما يلي:

أ- العنف الجسدي: وهو الاستعمال القصدي للقوة الجسدية أو السلاح من أجل إيذاء امرأة أو إصابتها ويشمل: الصفع/الدفع أو اللكم/ التهديد بالسلاح. [2]

ب- العنف الجنسي: لتلامس الجنس بالإكراه، أو إجبار المرأة على ممارسة جنسية دون موافقتها، أو ممارسات جنسية ناقصة أو كاملة مع امرأة مريضة أو معاقة، أو تحت ضغوط، أو تحت تأثير الخمر أو أي مخدرات أخرى ويشمل الاغتصاب والإنتهاك الجنسي والاستغلال الجنسي (يتضمن العنف الذي يمارسه الزوج، ممارسة الجنس ضد رغبتها) ممارسة جنسية بسبب الخوف من التعرض لأذى الإكراه على ممارسات جنسية تشعرها بالهوان والدونية. [3]

ج- العنف النفسي: ينطوي على السيطرة على المرأة أو عزلها، وإذلالها أو إحراجها ويشمل: التعرض للسب أو الشعور بالإهانة والإذلال أو التقليل من القدر أمام الآخرين، التهديد أو التخويف بطريقة مقصودة (مثل الصراخ) أو قذف الأشياء، الطلاق/ التهديد بالإيذاء (سواء مباشر أو غير مباشر/ المنع من الخروج من المنزل أو زيارة الأهل أو العمل أو تلقي الرعاية الصحية. [4]

---

[1] هنية مشقوق: العنف ضد المرأة قراءة في روايات فضيلة الفاروق، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010م، ص6.

[2] مرفت تلاوي: العنف ضد المرأة، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

[4] المرجع نفسه، ص ن.

والعنف ضد المرأة بأشكاله المختلفة المتنوعة أحيانا له مراحل ما يبدأ العنف ضد النساء مع البدايات المبكرة للحياة، ويستمر في الطفولة وخلال الزواج، وعند التقدم في السن:

*** قبل الولادة – في الطفولة:**

وتتمثل في الإجهاض المبني على تفضيل الذكور، قتل الإناث أو إهماله (في الرعاية الصحية، التغذية).

* **الطفولة:** انتهاك الأطفال الإناث...ختان الإناث، ومعاملتهم بصرامة مبالغ فيها، والانتهاك الجنسي للأطفال وممارسة العنف ضد الفتيات في المدارس وزواج الأطفال.

* **فترة المراهقة:** مثل الإكراه على الدعارة، الإكراه على الزواج المبكر، ممارسة الإنتهاكات النفسية، الاغتصاب[1]

* **المرحلة الإنجابية:** مثل جرائم الشرف، العنف الذي يمارسه الزوج، الإنتهاك الجنسي من قبل شخص غير الزوج، قتل الإناث، الإتجار الجنسي، العنف ضد خدمات المنازل، التحرش الجنسي والتخويف.

* **السنوات المتقدمة:** المعاملة السيئة لكبار السن والأرامل. [2]

6- العنف الإرهابي:

يعد كل من العنف والإرهاب صور للأخر، فالإرهاب عبارة عن عنف منظم بحت، عندما تميل جماعة أو تنظيم إلى استخدام العنف كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية، فالإرهاب عبارة عن استخدام عنف غير مادي من أجل أهداف وغايات سياسية والذي يكون فيه التأثير في الغالب رمزيا أكثر منه ماديا. [3]

---

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] محمود سعيد إبراهيم الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الإسراء، ط1، د ب، 2006م، ص122.

فالعنف يختلف عن الإرهاب في كون أن الإنسان العنيف في أفعاله الممارسة أخف من الإرهابي، وعليه يمكن القول إن كل إرهابي عنيف، ولكن ليس بالضرورة كل عنيف إرهابي، وذلك لأن الإنسان العنيف يلحق الضرر والأذى بالطرف الآخر، أما الإرهاب فهو يطول أشخاص آخرين أبرياء، هذا ويضع **"هوروتز" "Horowitz"** عددا من السمات التي يتميز بها الإرهابي عن غيره من الأشخاص يمكن إيجازها فيما يلي:

- وثيق الصلة تماما بالسياسة.

- عدم التمييز بين الإستراتيجية والتكتيك من الناحية والمبادئ من ناحية أخرى.

- التنازل عن الحياة العادية في سبيل تحقيق تضحة عليا.

- صغر السن.

- ينتمي إلى طبقة وسطى.

- يؤدي هذا الدور على أساس أنها مهمته الأساسية في الحياة. [1]

لهذا فإنّ العنف الإرهابي، شكل من أشكال العنف لدى الإنسان ومستوى من مستوياته التي يلقي كل أحد منه الضوء على الأشكال الأخرى، فالعنف الإرهابي بمعناه الخاص المتميز لم تغب عنه الشروط النفسية ولا الشروط النفسية الجماعية، فهو كظاهرة تظهر في شكل جماعي ومنظم قبل تنفيذه.

[1] المرجع السابق، ص122-123.

ثالثا: العنف في العلوم الإنسانية والاجتماعية

1/ العنف الفلسفي:

إنّ العنف بمفهومه الفلسفي، هو سلوك ونزوع واعتقاد، حيث لم يعد العنف اليوم يحدد فقط في الممارسات الجسمانية، لأن تحديد المفهوم يمكن أن يمتد إلى جميع أشكال المنع والتأثير سواء كانت ثقافية أم سيكولوجية.

إن العنف المنجز أداة في خدمة مشروع يمكن ألا يكون عقلانيا، لكن شروط استعماله تبدو قابلة للعقلنة لهذا فهو يوجد كلما كان هناك إلحاق للأذى بالغير بصفة جسدية أو نفسية، سواءا أخذنا الغير كفرد أم كجماعة أو مجموعة بشرية، فهو يتحدد باعتباره كمحرك أو دينامو للتاريخ من وجهة نظر معينة، ويقوم على استخدام القوة بشكل غير مشروع.

إن العنف يتحقق من خلال أشكال متخفية، لهذا يرى الفيلسوف الفرنسي **''إيف ميشو'' ''Eve Misho''** إن إنتاج وسائل التسليح الفردي كما يشمل وسائل التخريب الجماعي، ويخص أشكال التحطيم والتخريب والإبادة الجماعية وتهديد حياة الملايين من الناس، فالعنف أصبح قابلا للحساب والتحكم فإنه يمكن أن يحقق مردودية حيث أصبح من الممكن فرض السيطرة بواسطة التعذيب والقمع والتهديد به. [1]

وهناك نوع من العنف يسمى بالعنف الرمزي، فهو شكل مختلف من أشكال العنف غير الفيزيائي القائم على إلحاق الأذى بواسطة الكلام أو اللغة أو التربية أو العنف الذهني، وهو يقوم على عل المتلقي تتقبل هذا العنف مثال ذلك العنف الرمزي الذي تقوم به الإيديولوجيات، من حيث هو عنف لطيف وغير محسوس، لهذا يعرف عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر **''بيير بوردو'' " Pierre Bordeaux''** هذا الشكل من العنف بالقول

[1] أنس كاظم ياسر: العنف في الرسم العراقي المعاصر، مجلة الأكاديمي، العدد87، 2018م، ص31.

أنه هو ذلك الذي يمارس على فاعل اجتماعي ما بموافقته؛ معنى ذلك فإن الفاعلين الاجتماعيين يعرفون الإكراهات المسلطة عليهم وهو حتى في الحالات التي يكونون فيها خاضعين لحتميات يساهمون في إنتاج المفعول الذي يمارس عليهم نوعا من التحديد والإكراه. [1]

فإن العنف بوصفه حدثا إنسانيا بحتا، ينقل معياريته من الإنسان، ولا يتجاوز بذاته أكثر تباين واضح بين سمة الأشخاص يتمحور في القوة، فألف التاريخ أنماطا منها، فلم تأخذ هذه العلاقة شكل واعتبارات الغاب، بل تعددت لتشمل التقييم حادثا رغم كل المحاولات المضنية من المعرفين والفلسفيين والتنظيريين رفع الغاية الإنسانية الضيقة لمصلحة الغاية الواسعة، فيلاحظ أن ثمة توازيا واضحا بين محاولات الفلاسفة والتنظيريين وبين الواقع الذي يشكل الحدث التاريخي، والذي يشكله العنف بوصفه ضرورة للتأريخ الأممي القومي الذي تناهى عن سلطة شعرت بالخطر على نفسها بحسب تعبيير "حنة أرندت" فقد أشارت إلى أنّ السلطة المطلقة تنفي العنف إذ تأمن قيامها فينبغي بدوره وجود سلطة مطلقة متحكمة قائمة بذاتها وعلى ذاتها داخل المجال التفعيلي، وإقرار "أرندت" بهذا التباين يشير بقوة إلى مفارقة بين الشرعية في كلتا الحالتين، والتي تشكل نقطة حديث وتأمل في العنف والإقرار بكونه حالة إنسانية أصلية. [2]

كما يرى المفكر الفرنسي **''روني جرار'' ''Ronnie Jarrar''** أن أساس العنف هو "تنافس الرغبات" وذلك أن الرغبات الإنسانية تخضع لقانون المحاكاة، أي كرغبات في ما يرغبه الآخرون كلما كانت رغبة الآخرين في شيء ما قوية وشديدة.

[1] ينظر: أرندت حنة: في العنف، تر: إبراهيم العريسي، دار الساقي، بيروت، لبنان، د ط، 2015م، ص32.

[2] مصطفى الكيلاني: إيديولوجيات العنف، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص130.

أما العنف عند الفيلسوف الإنجليزي الحديث **''طوماس هوبز'' ''Thomas Hobbes''** وحول جذور العنف الذي يعتقد فيه أن مصدره يتمثل في التنافس الحذر، الكبرياء، وهي أسباب توجد في الطبيعة الإنسانية الأول يجعل الهجوم وسيلة لتحقيق المنفعة والثاني وسيلة للأمن والثالث وسيلة لحماية السمعة. [1]

ولقد ربط المفكر العربي "محمد أركون" العنف بالتقديس وبالحقيقة فهو يشرح هذه العلاقة على أن الجماعة مستعدة دوما للعنف من أجل الدفاع عن حقيقتها المقدسة، الإنسان بحاجة إلى عنف وتقديس، وإلى حقيقة لكي يعيش ولكي يجد له معنى على الأرض، العنف مرتبط بالتقديس والتقديس مرتبط بالعنف وكلاهما مرتبطان بالحقيقة أو ما يعتقد أنه الحقيقة.

أما المفكر والزعيم الهندي الشهير **''ألمهاتا غاندي'' ''Mahatta Gandhi''** فهو يرى بأن العنف رذيلة، وإذا كان العنف قانون حيوانيا، فإن اللاعنف هو القانون الذي يحكم البشر، ويعرف هذا الأخير على أنه الغياب التام للإرادة السيئة تجاه كل ما يحي إنسانا كان أم حيوانا أم نباتا.

يعالج **''إيريك فروم'' ''Eric Fromm''** أشكال العنف فمن تصور فلسفي وسوسيولوجي معاصر وذلك من خلال استحضار مجموعة من الظواهر الاجتماعية، وبعض الشعائر الدينية لدى مجموعة من الشعوب القديمة من أجل تبيان أن الغرض الأساسي من هذه الظواهر الاجتماعية ليس هدفها التدمير، لأنها لا تحمل أي نزعة تدميرية بقدر ما تجسد رغبة فرد أو جماعة في العيش وتأكيد وحدتها. [2]

يمثل العنف تحديا للفلسفة، فالخطاب الفلسفي لا يستطيع تجاهل أفعال العنف وآثاره المدمرة في الحياة والمجتمع ولكنه في الوقت نفسه يعي عجزها وعدم فاعليته إزاء الواقع العملي الموسوم باللاعقلانية.

---

[1] أنس كاظم ياسر: العنف في الرسم العراقي المعاصر، ص32.

[2] المرجع نفسه، ص32.

2/ العنف النفسي والاجتماعي:

أ- العنف النفسي:

هو تعبير عن انفجار لقوة لا تخضع لسيطرة العقل، حيث تظهر على شكل سلوك عدواني ناتج عن حالة إحباط يكون مشوبا بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، أو يكون مشحونا بانفعالات الغضب حيث يؤدي إلى إلحاق الضرر بالكائن الحي. [1]

يرجع **''فرويد''** العنف إمّا لعجز (الأنا) عن تكييف النزعات الفطرية الغريزية مع مطالب المجتمع وقيمه ومثله ومعاييره، أو عجز الذات عن القيام بعملية التماشي أو الإعلاء، من خلال استبدال النزعات العدوانية والبدائية والشهوانية بالأنشطة المقبولة خلقيا وروحيا ودينيا واجتماعيا، كما قد تكون (الأنا الأعلى) ضعيفة، وفي هذه الحالة تنطلق الشهوات والميول والغريزية من عقالها إلى حيث تلتمس الإشباع عن طريق سلوك العنف.

كما يرى **''فرويد''** أن دوافع السلوك تنبع من طاقة بيولوجية عامة، تنقسم إلى نزعات بنائية (دوافع الحياة) وأخرى هدامة (دوافع الموت) وتعبر دوافع الموت عن نفسها في صورة دوافع عدوانية عنيفة، وقد تأخذ هذه الدوافع صورة القتل والحقد والتجني ومقر دوافع الموت أو غريزة التدمير واللاشعور.

في حين ترى الفرويدية الحديثة أن العنف يرجع إلى الصراعات الداخلية والمشاكل الانفعالية والمشاعر غير الشعورية بالخوف وعدم الأمان وعدم المواءمة والشعور بالنقص. [2]

[1] مديحة عبادة، خالد أبودوح: العنف ضد المرأة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008م، ص19.

[2] شكور جليل وديع: العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، القاهرة، مصر، ، د ط، 1997م، ص35.

*** أطروحة إيريك فروم: Eric Fromm**

العنف ليس معطى طبيعي أساسي، فعلم الأعصاب وعلم النفس الحيواني يبنيان هذه الحقيقة كما يؤكد على ذلك عالم النفس الأمريكي (فروم) إذ أنّ الحيوانات لا تكون عنيفة إلاّ في حالات معينة، عندما تعمل على الحفاظ على حياتها أو للصراع من أجل الغذاء، ففي هذه الحالة يكون العنف وسيلة فقط وليس غاية. [1]

*** أطروحة ستانلي ميلغرام: Stanlet Milgram**

كما استنتج عالم النفس الأمريكي ستانلي ميلغرام من خلال تجربته الشهيرة حول "حدود الخضوع للسلطة" على الرغم من أنّ النزعات العدوانية طبيعية لدى الإنسان، فلم تكن لها أية علاقة سلوك المشتركين في التجربة، بنفس الشكل الذي يحدد السلوك العنيف للجندي في الحرب، أو ربانية الطائرات العسكرية الذين يطلقون وابلا من قنابل النابالم على القرى الفيتنامية. [2]

يرى **فرويد** بأن العنف يقود إلى نشأة الحق إنهما لا يتناقضان، فالحق هو قوة الجماعة كما يكشف عن ذلك تاريخ البشر.

ويعتقد **بورديو Bourdieu** أنّ هناك عنف آخر ألا وهو العنف الرمزي، وهذا العنف يحقق نجاحا أكثر من العنف المادي ونجاحه يعود إلى قدرته على ممارسة تأثيره على الفاعلين الاجتماعيين بموافقتهم، فالإنسان بحكم ولادته ينشأ في محيط سوسيوثقافي فيصبح بذلك، وبشكل تلقائي تحت تأثير مجموعة من التمثلات والمسلمات فهكذا تصبح المعتقدات التداولية بين الناس وسيلة للتأثير اللطيف وأداة للسيطرة والتحكم دون اعتماد العنف المادي.

---

[1] أنس كاظم ياسر: العنف في الرسم العراقي، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص34.

يعتقد **انجلز Engels** أنّ أهم تحول عرفه العنف تاريخيا، يتمثل في الانتقال من الاعتماد المطلق على القوة الجسمانية، إلى الاعتماد على العقل، فمنذ أن أصبح الإنسان يركز على استعمال الأسلحة أصبحت الحرب عقلية، ويكون الانتصار حليف من يملك أفضل أنواع السلاح.

يؤكد **رالف لينتون Linton.R** أنّ قبول العنف أو رفضه يختلف بحسب طبيعة الجماعات البشرية، لكن عندما تتدخل الجماعات في عنف الأفراد، تصبح الغلبة دائما لصالح الجماعة، ومقاومة الفرد لن تجديه نفعا وإنما ستقوده إلى فقدان جميع الامتيازات بما في ذلك حق الامتياز. [1]

إنّ مشكلة العنف هي مشكلة إنسانية وجودية...لأننا حينما نرجع إلى فلاسفة أمثال **نيتشه** أو **هوبز** نعتقد أن العنف متجدر في الطبيعة الإنسانية، وحينما نرجع إلى الأدبيات الحقوقية والأخلاقية التي تتأسس على نبذ العنف نجدها تؤكد أن حقيقة الإنسان تجسد نقيض العنف.

ب– العنف الاجتماعي:

يعرف العنف بأنه سلوك إيذائي، قوامه إنكار الآخر كقيمة متماثلة للأنا وللنّحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام، ومن مرتكزه استعباد الآخر في حلبة التغالب، إما يخفضه إلى تابع، وإما بنفيه خارج الساحة (إخراجه من اللعبة) وإما بتصفيته معنويا أو جسديا.

إذن معنى العنف الأساسي من المنظور الاجتماعي والسوسيولوجي هو عدم الاعتراف بالآخر، رفضه وتحويله إلى الشيء (المناسب) للحاجة العنيفة، إذ جاز الكلام عدم الاعتراف لا يعني عدم المعرفة، بل يعني معرفة

[1] المرجع السابق، ص ن.

معينة (مقبولة) هنا الفاعل العنفي يراقب المقابل، يتصوره بالطريقة المناسبة لرسم صورته (الضحية) وللتحكم بصيرورته). [1]

وعليه فإن العنف هو واقعة اجتماعية تاريخية، ينتجها الفاعل الفردي (المتسلط الأنوي) مثلما ينتجها الفاعل الجمعي (المتسلط) في سباق التصارع على الامتلاك الأنوي أو الجمعي للآخرين، وفي غياب أي انتظام علائقي من النوع الديموقراطي أو المساواتي العضوي.

ويعرف (لوكا **Luca**) في مؤلفه (آليات منطق العنف) العنف بأنه "مفهوم يدل على انفجار القوة التي تعتدي بطريقة مباشرة على الأشخاص وأمتعتهم، سواء كانوا أفرادا أو جماعات من أجل السيطرة عليهم عن طريق القتل أو التحطيم أو الإخضاع أو الهزيمة. [2]

وتارة يكون العنف جماعيا، إذ تقوم مجموعة بشرية ذات خصائص مشتركة باستخدام العنف والقوة، وسيلة من وسائل تحقيق تطلعاتها الخاصة، أو تطبيق سياقها الخاص على الواقع الخارجي.

والعنف بوصفه ظاهرة فردية أو مجتمعية، فهو تعبير عن خلل ما في سياق صانعها، إن على المستوى النفسي أو الاقتصادي أو السياسي، فنجد مجال علم الاجتماع كثيرا من التصنيفات في صنفين رئيسيين: العنف الصامت (صراع الأبناء مع الآباء، الصراع الطبقي، أشكال السياسة القهرية...الخ) قوامه التناقض الاجتماعي والعنف العيني، وهو سلوك إيذائي مادي، قوامه إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا أو لنحن وكقيمة تستحق الحياة والإحترام [3]، فهو يسعى إلى عدم الاعتراف بالآخر ورفضه وتحويله إلى سيئ، كأن ينصب العنف على جماعة أو جماعات بشرية.

---

[1] م.مدحت مطر: تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص23.

[3] المرجع نفسه، ص52.

ولقد انتشر العنف في أمريكا وأوربا أين ظهرت عصابات (حرب المدن) وانتشرت جرائم القتل، وهذا الإجرام الجماعي حول المدن الأوروبية والأمريكية رده **"جون بوستغيت"John Postgate** إلى مآسي **غابات الإسفلت** التي تعتبر أو ل أعراض عدم الاستقرار الاجتماعي الشامل للمجتمع. كل هذه الوقائع تجد تفسيرا لها في اجتماعية العنف والرأسمالية، كما أظهرت بعض الدراسات الطابع الحتمي وحتى الطبيعي للإجرام الحضري في النظم الاجتماعية المختلفة، مقابل هؤلاء يرى آخرون أن ظاهرة العنف، ما هي إلاّ نتيجة سلوك مرضي لبعض الأفراد الثائرين على رقابة المجتمع، وأنّ الممارسة العنيفة تعد ميلا غير قابل للاستئصال عند الإنسان.

وأمام هذا الوضع يلاحظ العديد من علماء الاجتماع في أوروبا وأمريكا، أنّ المجتمع المعاصر يذكرنا بخصوصية الدولة الطبيعية **لتوماس هوبس** (حرب الجميع ضد الجميع) وفي هذا الصدد يرى **والن Walin** أنّ القرن العشرون عرف كل أشكال العنف لم يسبق للإنسانية أن عرفتها من قبل، إلاّ أنّ التفسير الإيديولوجي يقدم التناقضات الاجتماعية وحالات القلق المتصاعدة والاستهلاك المادي للحضارة والوعود الكاذبة للسلطة. [1]

وفي هذا الصدد وصف **أردري Ardrey** ظاهرة العنف بالتعقيد وأنّ الإنسان الحديث يصعب عليه التخلص منها، وأنّ الإنسانية سائرة إلى نهاية محتومة طالما أننا لا نطيق العيش معاً. [2]

من جهته يرى **"إدغار موران" "Edgar Moran"**أنّ ظاهرة العنف بشكلها الحالي تبدي طابعا جديدا لم تعتد عليه العصور السابقة لأنه نتاج مجتمع ذي طبيعة مختلفة النوعية، أي مجتمع محدد بأنه صناعي ويؤكد آخرون أنه إذا كان من السهل نسبيا في العصور السابقة اكتشاف وإظهار الأسباب الملموسة لأحد أعمال العنف بشكل أكثر أو أقل دقة، فقد تغير الوضع الآن جدريا، لأن العنف اتخذ أكثر فأكثر طابعا لا شعوريا تماما وغير منطقي

---

[1] د. علي سموك: إشكالية العنف في المجتمع الجزائري – من أجل مقاربة سوسيولوجية–، مختبر التربية، الإنحراف والجريمة في المجتمع، عنابة، الجزائر، د ط، 2006م، ص116.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

أساسا وعفويا وأنه في حياة المجتمع المعاصر يصبح العنف غاية بحد ذاته، يميل إلى تأكيد بعض الرموز والصور الحديثة، وليس إلى إدراك غايات ثابتة. [1]

يعد العنف ظاهرة اجتماعية لا يمكن دراستها والخوض فيها بمعزل عن السياق الذي أفرزها أو التفاعلات الاجتماعية الذي تواجدت فيه « قد يحدث العنف بين الأفراد كنتيجة لمشاحنات وتنافسات، أو بين الأزواج لكنه لا يكون عنفا يتسم بدرجة عالية من الخطورة، إلاّ إذا كان أو بمقدار ما إذا كان الأطراف المتنازعون يعودون إلى امتدادات اجتماعية...» [2] أي أنّ العنف لا يمكن أن ينمو ويكبر في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية إلاّ إذا وافقت عليه مجموعة بشرية معنيّة ذات مرجعية فكرية وعقائدية وإيديولوجية مختلفة، فالاختلاف والتفاوت بين الطوائف والفئات الاجتماعية يولد نوعا من المشاحنات والتوتر في الحقل الاجتماعي نتيجة تصادم الرّؤى.

3/ العنف الديني والثقافي:

أ- العنف الديني:

تعد ظاهرة كل من الجريمة والعنف من الظواهر التي تناولتها بقوة مجمل الديانات، كما أن هذه الأخيرة عملت على محاربتها مع إظهار مخاطرها.

كما نجد أن الديانات السماوية متفقة على أن العنف والجريمة من السلوكات المهددة لسلامة المجتمع، بل عاملا يجب محاربته دون هوادة.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية غنية بالمفاهيم الخاصة بالجريمة والعنف في القرآن والسنة، كما أن هناك العديد من الآيات الكريمة قد تناولت ظاهرة الجريمة وكذلك أنواع الجرائم بالكثير من التفضيل.

---

[1] المرجع السابق، ص ص116-117.

[2] حسن إبراهيم أحمد: العنف من الطبيعة إلى الثقافة، الناي للدراسة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2009م، ص18.

فهذه الآية من سورة المطففين نجدها تتكلم صراحة عن الجريمة، حيث جاء نصها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة المطففين:29] [1] كما أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى العديد من أنواع وأنماط الجرائم: كالقتل، السرقة، والتكبر والزنا، الغش والظلم أكل أموال اليتامى بالباطل، تعاطي الخمور...الخ من الأنواع الأخرى.

ولهذا يمكن القول بأن الدين الإسلامي، قد حدد أولا معنى العنف والجريمة، ثم أشار إلى أنواعها ومرتكبيها وبعد ذلك انتقل إلى النتائج المترتبة عنها.

وقد جاء في القرآن الكريم وبالخصوص في جريمة القتل: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة المائدة:32]. [2]

كما نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ربط العنف والجريمة بعدم الإيمان أو ضعفه عند الأفراد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"**، وورد في صحيح مسلم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال: **" ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"**.

---

[1] سورة المطففين: الآية29.

[2] سورة المائدة: الآية32.

كما نجد أنّ الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام كان في العديد من الأحاديث ينهي الصحابة والمسلمين عامة من اللجوء إلى العنف والتشدد لحل فتن الصراعات السياسية بين الصفوات والنخب القيادية داخل المجتمع ويأمر بوجود ضبط النفس الكامل ولو تعرض الطرف الداعي إلى الإصلاح للعدوان من قبل الآخرين. [1]

كما أن الدين الإسلامي كان دائما ينهي عن المنكر ويأمر بمعاملة الآخرين حتى ولو لم يكونوا من المسلمين معاملة حسنة.

وهذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة لقمان:17] [2]

الإسلام مدرسة قوامها المحبة ومعاملة السيئة بالحسنة، كما أنّ الإسلام لم يكن في يوم من الأيام يدعو إلى معاملة العدوان والعنف بالعدوان والعنف.

حيث لم يتغير الموقف القرآني والنبوي في مكة في عدم السماح باللجوء إلى العنف ردا على عدوان قريش على المسلمين على الرغم من إسلام رجال محاربين وشجعان أمثال حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وانضمامهما إلى صفوف المسلمين، والذين أرادوا تحدي قادة قريش وطالبوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسماح لهم بالرد على العدوان ومواجهة العنف بالعنف.

والقرآن الكريم في الكثير من آياته شاهد على الأمر الإلهي والنهج النبوي بالصبر في ذلك الحال() وتفعيل العقل لا للعضلات، لأن القوة تسقط صاحبها في عالم الهمجية والعدوانية، ولهذا فكأن الرسول العظيم يربي

[1] محمدود سعيد الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية، ص46.

[2] سورة لقمان: الآية17.

أصحابه والمؤمنين على الصبر على العدوان والشدائد، ويقول عز وجل:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ ﴾ [سورة غافر:55] [1]

لهذا نجد أن الخطاب الديني قد تغير مع بناء الدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، حيث أصبح مطلوب من المسلمين الوقوف كرجل واحد والدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم وعدم السماح للأعداء بالاعتداء على الإسلام وعلى الأرواح وحرمات وممتلكات المسلمين في المدينة.

ونفهم من هذا أنّ اللجوء إلى العنف والقوة لم يكن محبة في العنف والعدوان بل هو دفاع عن الحقوق المستهدفة ونصر لدين الله.

عندما أنزل الله رسالة الإسلام على العرب، لم يكن أمام الذين أمنوا بها إلا أن يسعوا إلى نشرها بين قريش أولا وما حولها، وكانت وسيلتهم في نشر الدعوة الحوار والإقناع، بعدم جدوى الكفر والإشراك بالله الواحد الذي خلق السموات والأرض وخلق الإنسان ومكنه في الأرض ليكون خليفته فيها، وعندما حمل العرب رسالة الإسلام إلى الأقوام الأخرى، لم يفرضوه على غيرهم من القريش والروم والهنود واليهود فرضا، بل عرضوه على هذه الأقوام فإن قبلوه فلهم الحسنى وإن رفضوه فلا سبيل لأخذ مرشدهم قوله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [سورة البقرة:256] [2]، وقد امتثل العرب لقول الله سبحانه وتعالى في نشر رسالة الإسلام، لأن الله لو أراد بحكته وقدرته لآمن الناس كلهم بالإسلام لقوله:﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا

[1] سورة غافر: الآية55.

[2] سورة البقرة: الآية256.

﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة يونس: 99] [1]، فالله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء لآمن الناس جميعا، ولكن شاءت إرادته تعالى لحكمة يعلمها هو، أن يخلق الإنسان وفيه استعداد للخير والشر والإيمان والكفر، فيختار أحد الطريقين بلا إكراه بعد أن هداه النجدين فلا إكراه في الدين لمخلوق أبدا، وإن القادر على الإكراه هو الله سبحانه بقائه.

كما يتعرض الإسلام إلى هجمات عنيفة من طرف وسائل الإعلام الغربية متهمة إياه بالتطرف والعنف والإرهاب، خصوصا بعد انهيار الشيوعية، وبرز طروحات ومقولات النظام العالمي الجديد، ولكن ما خلفيات هذه الكراهية الموجهة ضد الإسلام؟ يرى **''زين الدين العابدين الركابي''** أنه مهما يكن من شأن هذا البهتان، فإن خميرة التقبيح والتشبيه تكونت من مصادر عديدة من العدوان البعيدة الغور، ومن الدوس على الإسلام في مناهج التعليم في الغرب، ومن حركات الاستشراق التي تخصصت في التشنيع على أصول الإسلام ومقاصده، ومن أدبيات الشيوعيين في العالم الإسلامي، في حين اصطدم هؤلاء بجدار الإيمان الصلب، ولم يقدروا على الوصول إلى الحكم تفرغوا المهمة تشويه الإسلام وتشكيك الناس فيه. [2]

ويعترف العديد من مفكري الغرب بما كان للإسلام من دور فعال في التاريخ، ودور الفكر الإسلامي في بناء الحضارة الإنسانية، وحتى فقهاء القانون اعترفوا به كمصدر رئيسي في التشريع عندهم، وقد أشار الرئيس الأمريكي السابق نيلسون في كتابه الفرصة السائحة، إلى أن الإسلام ليس مجرد دين؛ بل هو أساس الحضارة الكبرى، يلح على ضرورة الحذر من الخلط بين تصرف المتطرفين المسلمين والعقيدة الإسلامية. [3]

---

[1] سورة يونس: الآية99.

[2] م. مدحت مطر: تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، ص57.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

هكذا نرى أن الإسلام أصبح يوصف بأنه دين العنف والإرهاب والتخلف، وهي السمة الغالبة على لغة التخاطب في وسائل الإعلام الغربية بصفة عامة، والإسلام منها بريء، ويرى المفكر المغربي **"محمد الحبيب الفرقاني"** أنّ الدعوة الإسلامية منذ نشأتها وهي تقوم على التسامح والجدل والإقناع بالحجة والمنطق.كما قامت على القوامة الأخلاقية وتقديم النموذج السلوكي الإنساني الأمثل (لا إكراه في الدين)، وكلمة السلام والموادعة كانت ولا تزال هي تحية المسلمين، والشعار الدائم العام لعلاقتهم، واللجوء إلى العنف وممارسته في الإسلام، لا يكون إلاّ تحت الضرورة دفعا لظلم أو مبادأة بالعدوان، أو لحماية لخطر يتهدد العقيدة والشريعة دفعا من أعداء الإسلام.

ويضيف أن الالتحاد إلى العنف والإكراه وممارسة الإرهاب الفكري والسياسي والثقافي على المواطنين إلى حد القتل وتهشيم العظام، أمر يخالف مُخالفة كاملة المنهج الإسلامي والأسلوب النبوي في الدعوة إلى الإسلام وإصلاح شؤون المسلمين. [1]

فندرك من خلال ما سبق أن العنف الديني يمارس باسم الدين، والدين بريء منه، فالإسلام يقر الاختلاف ويؤمن بالتعدد، ويرى أنّ الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلائق، فلا وصاية على الدين، فالعنف الديني مثله مثل كل أعمال العنف، هي عملية جوهرها ثقافي معانيها تعتمد على هذا السياق فهو يرتكب لأسباب عديدة ولعل أهم العوامل المساهمة الاجتماعية والسياسية التي تؤدي إلى هذه الاضطرابات.

ب– العنف الثقافي:

إنّ هناك ترابطا عميقا بين مظاهر العنف وأدواته المستخدمة، والثقافة التي توجه الإنسان وتتحكم في سلوكه الخاص والعام.

[1] المرجع السابق ، ص58.

فالعنف من حيث هو أذى باليد أو اللسان، إنما يرتكز على مسوّغات وطاقات ودوافع يمكن تعيينها في تداؤب الطاقة العنيفة وثقافة العنف. فهذا التداؤب أو العلاقة العضوية هي التي تساعدنا على اكتشاف المساحة المشتركة والعلاقة المباشرة بين الثقافة والعنف.

فالإنسان القادر على فعل العنف قادر أيضا على عدم فعله، وسلوكه هذا مشروط ليس فقط بالقدرة على الفعل، بل متوجه ومحدود أيضا بالظروف التي تسمح بالفعل العنفي أو لا تسمح به. [1]

فالفعل العنفي هو نتاج جملة من الحالات والعوامل المتداخلة والمركبة مع بعضها بعضا والتي تتسع للعوامل والشروط الذاتية، كما تتسع للعوامل والظروف الموضوعية، فطبيعة الثقافة التي تحدد – إلى حد بعيد- طبيعة فعل اليد أو اللسان؛ فإذا كانت الثقافة عنيفة يتحول اللسان غلى أداة للأذى بكل صنوفه وأشكاله، واليد إلى ممارسة القتل والتدمير وكل أشكال العنف المادي، أمّا إذا كانت الثقافة تحتضن مفاهيم الرفق والعفو والتسامح؛ فإن اللسان يتحول إلى مبشر بهذه القيم والمضامين، وتكون اليد معطاة ومبادرة لفعل الخير. [2]

فالعنف بوصفه ظاهرة مجتمعية له جذوره الثقافية، وموجباته المعرفية، ولا يمكن معرفة هذه الظاهرة حق المعرفة إلا من خلال معرفة الجذور والحواضن الثقافية للعنف.غن تأويل السلوك العنفي على أنه تصرف فردي مدان يحصل بين متفاعلين ناتج عن دوافع مقصورة ومثارة من مثيرات محيطية وبشرية. [3]

لكن هناك عنف يحصل جماعيا وليس فرديا تعززه ثقافة المجتمع بشكل مشروع ولا يكون مدانا، وهناك عنف فردي يتغنى به الفرد عاطفيا كمتنفس وجداني وهناك أيضا عنف محبب ومعزز من قبل أفراد النسب القرابي الواحد يدعمونه من أجل الحفاظ على معايير قبيلتهم المتمثلة في الاعتبار الاجتماعي العالي والزهوة الاجتماعية

---

[1] المرجع السابق ، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص28.

[3] معمر خليل العمر: علم اجتماع العنف، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص20.

عن طريق استخدام القوة الجسدية لذلك لا يوجد تعريف واحد بل تعاريف متنوعة ومتباينة لأنه منتج اجتماعيا وثقافيا وقانونيا، فرجال القانون يرونه على أنه خروج عن القواعد القانونية المكتوبة ومقترن مع الإيذاء الجسدي والمادي والتفكير المسبق له معنى ذلك أنه يكون مقصودا سواء كان على الصعيد الجسدي أو اللفظي أو السلوكي الذي يأخذ أسلوب السخرية والاستهزاء من ممارسة عادة ثقافية أو ليس طراز معين لفئة ثقافية خاصة أو طائفة دينية معينة، فمثلا ارتداء المصري والسوري والعراقي والفلسطيني والأردني ملابس من اللون الأسود في مناسبة عزاء ووفاة أحد الأقارب أو أفراد الأسرة، وعلى الرجال عدم حلق لحاهم وعلى النساء عدم التبرج، لكن هذه العادة الاجتماعية التي تمثل ناموسا اجتماعيا لا تكون كذلك في المجتمع المغربي (العربي المسلم) بل يلبس أفراد أسرة المتوفي اللباس الأبيض ويتعطرون ويتأنقون في هذه المناسبة. [1]

لا توجد غرابة في هذه العادات بل هي طبيعية وأن مخالفتها يعني اقترافا لها وعنفا ثقافيا، وهنا لا نجد فيها الإيذاء الجسدي أو اللفظي بل نجد الخروج عن العادات الثقافية الاجتماعية المتبعة والمراعية للممارسات الثقافية والدينية، لذا فإنه يمثل عنفا لثقافتهم وليس لشخصهم أو جسدهم.

والجدير بذكره في هذا أن هذه المعايير الثقافية تمثل الآداب العامة والأعراف الاجتماعية والنوامس الثقافية وجميعها غير مكتوبة أو مدونة في كتب رسمية بل متداولة بين الناس، وتنتقل من جيل إلى آخر عن طريق المشافهة بواسطة تنشئة الوكالات الاجتماعية، تلزم أبناءها الأخذ بها وممارستها في حياتهم اليومية عند التعامل مع الآخرين من أبناء ثقافتهم أو أبناء ثقافات أخرى، والجميع يمارسها دون معارضة او تردد بل يشكل تلقائي وعفوي تام لا يستطيع أي فرد من أبناء هذه الثقافة التنصل منها أو التهرب منها بل الجميع يخضع لها بغض النظر عن اختلاف مواقعهم المهنية والأداء الوظيفي وكل من يخالفها يعد منحرفا عنها في نظر أبناء جلدتهم. [2]

---

[1] المرجع السابق، ص21.

[2] معمر خليل العمر: علم اجتماع العنف، ص22.

وفي المجتمعات البدائية وغير الصناعية يكون الأفراد فيها مرتبطين بالرباط القرابي الدموي الأسري الممتد وما يأتلف معها من أسر ممثلين بذلك قبيلة أو عشيرة تعكس الرباط القرابي المتصف بالزواج.

فالعنف هنا يكون مبررا عرفيا وقيميا سلفا ولا يعد إيذاء بل يمثل التزاما ميكانيكيا بمعايير عشيرته وفخرا في ممارستها وهذا ما نشاهده في مجمعتنا العربي. [1]

فعلى هذا يظل مصطلح "العنف الثقافي" من المصطلحات الخطيرة التي تؤثر بشكل أو بآخر على الصورة الحقيقية للثقافة، وتفرض حالة من الوعي التي تتجلى تداعياتها متى ما تحققت أهدافها التي تمثل قضايا تنهش عقلية المفكرين والمثقفين، فالمجتمع الثقافي الذي ينهض تحت ظاهرة العنف يتخذ مفاهيم معادية يتشكل على شكل عنف مادي ومعنوي.

4/ العنف الاقتصادي والسياسي:

أ– العنف الاقتصادي:

وهو العنف الذي يقوم نتيجة دوافع اقتصادية، ولتحقيق أهداف اقتصادية، ويسمى الماركسيون هذا النوع من العنف (العنف الطبقي) أي العنف الذي تمارسه الطبقة أو الطبقات الرأسمالية الغنية على الطبقات الفقيرة والمستغلة، وهو الصراع العنفي الطبقي. [2] الذي قامت ثورة أكتوبر سنة 1917م في روسيا على أساسه، ويميز الماركسيون بين العنف الثوري والعنف الرجعي، فالثوري هو الذي تستخدمه الطبقة العاملة ضد الأقلية المستغِلة بهدف إحداث تغير هيكلي في المجتمع، أمّا العنف الرجعي فهو الذي تستخدمه البورجوازية ضد الطبقة العاملة.

[1] المرجع السابق، ص22.

[2] حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مج1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1992م، ص47.

أمّا الأزمة الاقتصادية التي تعيشها معظم دول العالم، فتشكل دافعا كبير الارتباك أفعال العنف والإرهاب فكلما زادت الفوارق الطبقية في المجتمع، تباعدت المصالح بين الطبقات وظهر الصراع بينها، وأية حركة سياسية تثير هذا الموضوع لصالح الأغلبية في المجتمع، تكسب المزيد من الأنصار من جموع الفقراء، ممن يعانون من اضطهاد السلطة، أو من اضطهاد فئة تتحكم بمصالحهم، وقد زاد الأمر تعقيدا، شيوع نظام السوق وخصخصة الاقتصاد الوطني والعالمي، ولاسيما بعد فشل التجربة الشيوعية وسقوط الاتحاد السوفياتي، حيث أخذت القلة الغنية تتحكم بالكثرة الفقيرة في المجتمع، وتخدمها من أبسط مقومات الحياة الحرة الكريمة. [1] وقد زادت هذه الأوضاع من شيوع العنف لأغراض اقتصادية، وارتفع عدد الجرائم التي تستخدم فيها شتى أشكال العنف والإرهاب.

إن الخلل الاقتصادي الكبير الذي تشهده بلدان العالم الثالث هو في درجة كبيرة منه، بسبب هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، وسيطرة الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات، فهذه الشركات تعمدت الحط من إمكانيات التنمية الذاتية في الدول النامية، والنيل من استقلالها السياسي الوطني، عن طريق إقامة مشاريع ليست ذات أولوية اقتصادية في هذه الدول، ولا تخدم قضية التنمية، مثل النشاطات المصرفية والسياحية، وبفعل هذه الأوضاع سجلت حالات كثيرة جدا من حوادث العنف في البلدان الفقيرة بسبب الجوع واليأس وخيبة الأمل. [2]

إن الماركسية تأخذ علما بوضع الإنسان النزاعي، وتقترح له تفسير نظريا وعلميا في آن واحد، فإن الإنسان إذ يبدع نفسه بعمله الذي هو جهد من أجل السيطرة على الطبيعة، يسلب ثمار عمله بالعنف الذي يمارسه منذ

[1] المرجع السابق، ص48.

[2] مصطفى مصباح دبارة: الإرهاب مفهومه وأهم جرائمه في القانون الدولي الجنائي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، د ط، 1990م، ص65-66.

البدء للأقوى حيال الأضعف، فيفقد بذلك العلاقة الجدلية بينه وبين الطبيعة، هذه العلاقة التي تكون وجوده والتي تتسع له، دون سواء أن يحقق ذاته في جميع أبعادها، وتسلبه منتوجات عمله عن ذاته وتخضعه لاستلاب حقيقي[1]

وحسب النظرية الماركسية فإنه لا وجود للعنف خارج العلاقات الطبقية وخارج السياسية، وإذا كانت السياسة هي التعبير الأساسي للمصالح الاقتصادية فإن العنف، بدوره هو التعبير الأكثر تركيز للعلاقات السياسية ووسيلة تحقيق السياسية ووسيلة تحقيق السياسية نفسها.

وفي أحكام العنف تتجلى مصالح الطبقات وإدراكها وإرادتها، ولها دوما اتجاه اجتماعي محدد بالنتيجة وأنّ الأداة الرئيسية للكفاح من أجل السلطة هي استعمال مختلف وسائل وأشكال الضغط المحدد بالشروط التاريخية الملموسة والتوازن الفعلي للقوى الطبقية ودرجة حدة نضالها، وهكذا فالعصيان المسلح مثلا، هو إحدى الطرق الممكنة للثورة الاجتماعية التي تمثل نقطة الضرورة في الصراع الطبقي غايتها انتقال السلطة من طبقة إلى أخرى. [2]

ب– العنف السياسي:

إن أغلب الباحثين والدارسين يعرفون العنف السياسي بأنه: استخدام القوة المادية أو التهديد باستخدام القوى المادية أو التهديد باستخدام قوات الأمن لتحقيق أهداف سياسية وعلى سبيل المثال، فإن **''بول ويلكسون'' "Paul Wilkinsoh"** عرف العنف السياسي بأنه " استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين لتحقيق أهداف سياسية" [3]، وعرفته **''شانغ سياهن'' "Shang Sihan"**: "بأنه

[1] د. علي سموك: إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيولوجية، ص104.

[2] المرجع نفسه، 105.

[3] ضياء رشوان: مدخل حول العنف والعنف الإسلامي، الحالة المصرية، مجلة الوحدة، بيروت، العدد43، 1988م، 174.

استخدام القوة المادية لتحقيق أهداف سياسية وحدده باحث القوة المادية لتحقيق أهداف سياسية وحدده باحث آخر أنه كافة أعمال الشغب والأذى والتدمير التي يقصد منها تحقيق أهداف سياسية". [1]

يمكن تصور حركة العنف السياسي بين القوى التي يمكن أن تمارسه والقوى المستهدفة على النحو التالي:

1- العنف الموجه من النظام إلى المواطنين أو إلى جماعات وعناصر معينة منهم، وذلك لضمان استمراره وتقليص دور القوى المعارضة له.

2- العنف الموجه من المواطنين أو فئات معينة (العمال، الطلبة، الفلاحين، الأقليات، الأحزاب والتنظيمات السياسية...).

3- العنف الموجه من بعض عناصر أو أجنحة النخبة الحاكمة إلى بعض عناصرها أو أجنحتها الأخرى.

ويدخل هذا العنف في إطار الصراعات داخل النخبة إلى بعض عناصرها أو أجنحتها الأخرى ويتخذ عدة أشكال منها التصنيفات الجسدية والاعتقالات والانقلابات وقد يصل الأمر إلى حد الصدمات المسلحة بين العناصر والقوى الموالية للأجنحة المتصارعة داخل النخبة الحاكمة.

4- العنف الموجه من بعض القوى أو الجماعات ضد جماعات أخرى داخل المجتمع نتيجة أسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو قد يتدخل النظام لتصفية مثل هذه الصراعات أو ليلقي بثقله إلى جانب أحد أطرافها. [2]

[1] المرجع السابق، ص179.

[2] ماري كاليفات زيادة: أسطورة الإرهاب، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ع39، 1986م، ص118-112.

لقد أصبح العنف السياسي من أدق الموضوعات وأكثرها إشكالية وإثارة للجدل في عالمنا المعاصر، لأنه يمس أهم المؤسسات في المجتمع، ولا توجد تقديرات دقيقة حول إجمال الخسائر التي تسببها هذه الأحداث فاستخدام السلاح أو العنف لغرض رأي سياسي ظاهرة موجودة منذ عقود، ولكن طريقة استخدامها هي التي اختلفت إضافة إلى أن الجماعات السياسية التي تستخدمه قد اختلفت هي الأخرى، فاختفى بعضها وظهرت جماعات جديدة وطرق جديدة.

وخلال الثورة الفرنسية اتفق **''روبسبير'' ''Robespierre''** و**''سان جيست'' "Sankust"** و**''كوتون'' ''Coton''** بممارسة العنف السياسي على أوسع نطاق فتمكنوا من قطع رأس أربعين ألف بالمقصلة، واعتقال وسجن ثلاثمائة ألف شخص جميعهم من الفرنسيين. وقد زاحم السيانتور الأمريكي **''جوزيف ماكارثي'' ''Joseph Mccarthy''** الفرنسيين ونافسهم في التنكيل بالشعب الأمريكي، والعنف السياسي يكون ثورة إذا قلب نظام السلطة القائمة وتربع على عرشها كما حدث في روسيا عام 1917م، وقد يصبح إرهابا إذا فشل كما حدث في أمريكا اللاتينية. [1] ويرى **"محمد السعدي"** أن التفريط في الحقوق القومية وموالاة أعداء الدين، وخيانة الحكام من أشد حوافز العنف.

فالأمم لا تتسامح مع العملاء والخونة أبدا، ولا تغفر لهم مطلقا، وقد يختلف الناس في مشروعية الثورة على الحاكم المستبد الظالم، ولكن قلما يختلفون في مشروعيتها ضد الحاكم الخائن... وهناك نوع من العنف السياسي ينشأ بسبب الجهل بأحكام الدين والتطرف العقدي كذلك الذي عند بعض الفرق والأحزاب الدينية. [2]

وقد ذهب ضحية أعمال العنف السياسي، منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، العديد من الشخصيات السياسية والعلمية والفكرية في العالم، ولعل من أشهر الاغتيالات التي عرفتها هذه الفترة نوردها على

[1] م. مدحت مطر: تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، ص54.

[2] المرجع نفسه، ص55.

سبيل الذكر "إبراهيم لنكوبن" عام 1868م في الولايات المتحدة الأمريكية، والزعيم الهندي "غاندي" سنة 1948م، و"الأرشدوق فيردناند" سنة 1914م، وكان مصرعه سببا في نشوب الحرب العالمية الأولى الملك عبد الله سنة 1951م، وجون كندي سنة 1963م، والرئيس المصري أنور السادات سنة 1981م واللّائحة طويلة لأن جرائم العنف السياسي ليست منحصرة في بلد معين أو في زمن محدد بقدر ما تشكل حاليا لغة العصر ووليدة المتميزة في جو يشع بالحرية المطلقة وبالمساواة المفرطة، تبرز للوجود لتقف شاهدة على انحطاط قيم واستدلالها بأخرى تؤمن بالقوة ولاشيء غير القوة، رغم أنّ الإنسانية حققت في مسيرتها الشاقة إلى الأمام منجزات اجتماعية وعلمية وسياسية، جعلت من التطور التحرري أداة صالحة للمسيرة الإنسانية فيما كان هذا الأمر مجرد وهم في الماضي والبعيد على حد سواء. [1]

يظهر أنّ العنف السياسي يأخذ عدة صور وأنماط تبعا لظروف المجتمع وتطوره، ويشكل العنف السياسي جزء لا يتجزأ من الإستراتيجيات السياسية، التي تمارسها جميع السلطات وأنظمة الحكم في النطاق الداخلي، ويظهر العنف السياسي الإستراتيجي بمظهر الإجراءات الرادعة والضربات العسكرية الوقائية، التي ترمي إلى بلوغ هدف سياسي أبعد، ولم يقتصر العنف السياسي الإستراتيجي على القيام بعمل عسكري أو شن حرب شاملة أو محدودة بل يتعدى ذلك إلى ممارسات أخرى لا تقل في نتائجها على الفعل الحربي.

ويقابل هذا النوع من العنف عنف سياسي إستراتيجي ثوري تحرري، تمارسه قوى سياسية أو قوميات في بلد ما ضد الإستعمار من أجل الاستقلال والتحرر السياسي والاقتصادي والثقافي. [2]

[1] المرجع السابق، ص56.

[2] عبد الناصر حرير: الإرهاب السياسي، دراسة تحليلية، مكتبة مذبولي، القاهرة، مصر، د ط، 1996م، ص10.

سيظل العنف السياسي يحرم الإنسان من حقه في الحياة، الذي نصت عليه جميع المواثيق الدولية فهناك سبل عديدة لمواجهة العنف السياسي ومكافحة آثاره والتقليل من أضراره، منها تبني السلطة بشكل سلمي بعيدا عن وسائل العنف والإكراه، ومنها تبادل المعلومات والتعاون المشترك بين أجهزة الدولة المختلفة.

رابعا: تجليات العنف في الأعمال الروائية الجزائرية:

كانت حقبة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجها الواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والوقائع لقراءة الحادثة التاريخية المرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به.

لقد أخذت الرواية الجزائرية في حقبة التسعينات منعرجا هاما عالجت فيه موضوع الأزمة ومخلفاتها وآثارها السلبية، فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية موضوعا لها، إذن فموضوع العنف المعروف بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلاّ أنّ هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، إذ لم تكن عشرية الأزمة فقط: بل كانت عشرية التحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء انتخابات 1992.

وهذا ما نجده في رواية "الشمعة والدهاليز" "لطاهر وطار": إذ تصور لنا فترة من التاريخ الوطني الحديث تمثلت في الأحداث السياسية التي رافقت التعددية السياسية، ومحورها الأساسي هو نموذج السلطة. [1]

تميزت أيضا هذه الرواية بعناصر فكرية حرس كتابها على أن يضمّونها واقع العنف الذي مكّن كتّب الرواية من الغوص في أعماق الشخصيات، سير أغوارها من تحليلها واختيارها في سياق اجتماعي وسياسي، وهم بذلك يستخدمون الشخصيات النموذجية القادرة على تجاوز حقيقتها على حقيقة أكثر دموية واتساعاً. [2]

---

[1] جعفر يابوشي: الأدب الجزائري الجديد التحرية والمال، مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، د ط، 2007م، ص76.

[2] الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ص13.

وما وجب الإشارة إليه هو أنّ ظاهرة الإرهاب في الكتابة الروائية الجزائرية بدأت منذ السبعينيات، وجاءت بشكل صريح في روايتي **''زهوة''** للحبيب السايح، ورواية **''القلاع المتآكلة''** لمحمد ساري؛ حيث أشار الحبيب السايح إلى العنف الذي طال تلك الفترة فيقول: ما بحثت فيه من تاريخنا المعاصر واستنتجته أودى بي كما المئات مثلي إلى إحباطات بفل الردّات العنيفة.

أما **''محمد ساري''** في روايته السابقة الذكر فقد صور لنا الصّراع الذي كان يحدث من حركة الإخوان المسلمين الذين كانوا يعادون التوجه الإشتراكي، وبين المنطوين لصالح الثورة الزراعية. [1]

نجد كذلك ظاهرة الإرهاب بارزة في رواية **''الشمعة والدهاليز''** "للطاهر وطار" التي صور من خلالها معاناة الشعب الجزائري تحت رحمة الجماعة التي يحكمها الزعيم، حيث ينفذون أوامرهم دون مناقشة، وهذه الجماعة متشابهة حتى في الشكل، فتهدف هذه الجماعة إلى العنف والخراب والإنقلاب على السلطة، ويظهر المشهد الإرهابي أكثر في نهاية الرواية المتمثل في اغتيال الشاعر الضحية من قبل سبعون ملثمين، وهي نهاية مأساوية سادها الغموض والرعب "إنّ نهاية الرواية لا تردّ الإرهاب إلى جهة معينة، ولا تردها إلى الحركة الأصولية كما هو معروف؛ بل إن إضفاء شمعة المثقف الوطني يعود إلى عدة أطراف، وكل الأطراف اتفقت على شيء واحد وهو العنف. [2]

كما قد تجلت ظاهرة الإرهاب في رواية **''تيميمون''** "لرشيد بوجدرة" حيث أن ظهورها زامن الفترة الساخنة من الجحيم الإرهابي التي كانت تتلظى بسعيره الجزائر. [3]

---

[1] محمد ساري: القلاع المتآكلة، منشورات البرزخ، الجزائر، د ط، 2013م، ص74.

[2] شادية بن يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، الموقع الإلكتروني: http:// www. diwanalarab.com/15/01. 2017/15:15.

[3] جعفر يابوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمال، ص225.

حيث يقول الروائي فيها "اغتيل الأستاذ بن سعيد هذا الصباح عند الساعة الثامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابية من الإسلاميين. [1]

إن أثر الإرهاب في رواية "تيميمون" ليس محركا للتاريخ؛ بل هو ظاهرة طارئة على التاريخ وحدث عارض يعيق الحركة، كما يقطع حبل التسلسل في القراءة، وسيبقى محطة سوداء في طريق التاريخ مثلما تظهر الأخبار بقعا سوداء في جسد الرواية، إلا أنها تعد تحول دون قراءة الرواية، كما لم تحُل دونها كتابتها، فالعقبات لا توقف مجرى التاريخ وإنما تبقى وشما في جسده. [2]

بالإضافة إلى كثير من الروايات التي تطرقت إلى قضية الإرهاب في مرحلة الأزمة، كرواية **''سيدة المقام''** "لواسيني الأعرج"، ورواية **''المراسيم والجنائز''** "لبشير مليتي"، ورواية **''الورم''** "لمحمد ساري"، ورواية **''زمن الموت''** "لإبراهيم سعدي"، إضافة إلى روايات عز الدين جلاوجي **''سرادق الحلم والفجيعة''** و**''رأس المحنة''** و **''الرّماد الذي غسل الماء''**، حيث خصّ هذا الأخير ظاهرة الإرهاب بالاهتمام خاصة أن نصوصه تحكي الرّاهن بكل شفافية، راهن العشرية السوداء واحتدام المحن على الجزائر. [3]

ويمكننا القول إن الرواية في هذه المرحلة هي شهادة على واقع، وشهادة على حضور ذات المثقف المعذّبة، فهي تجسيد في أحد أوجهها حضور المثقف ومحنته في رواية الأزمة.

---

[1] رشيد بوجدرة: تيميمون، دار الإجتهاد، الجزائر، د ط، 1994م، ص27.

[2] شادية بن يحي: الرواية الجزائرية ومتغيرات الواقع، الموقع الإلكتروني: .http:// www. diwanalarab.com/15/01. 2017/15:15

[3] حفيظة طعام وآخرون: المثقف والسلطة في روايات عز الدين جلاوبي، (ضمن سلطان النص)، 16:15، 2008م، ص18،20.

الفصل الثاني:

مظاهر العنف من خلال رواية ''الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي'' للطاهر وطار

أولا: التعريف بالروائي

أ- نبذة عن الروائي ''الطاهر وطار''

ب- التعريف بالرواية

ثانيا: ملخص الرواية

ثالثا: مرجعية الرواية

رابعا: تجليات العنف في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي

خامسا: تقييم الرواية

أولا: التعريف بالروائي والرواية

أ/ نبذة عن الروائي "الطاهر وطار":

ولد الطاهر عام 1936م في بيئة ريفية لأسرة قبائلية تتكلم العربية وتنتمي إلى فرع الحراكته الذي يمثل سطح الأوراس في شمال شرق الجزائر.

نشأ في قرية "أمد أوروش" التي عاش فيها "أبوليوس" صاحب أول رواية في تاريخ الأدب الجحش الذهبي والقديس "أوغوستان"، تلقى تعليمه الإبتدائي والثانوي في مدرستها التابعة لجمعية العلماء المسلمين، ثم أكمل تحصيله العلمي في معهد ابن باديس بقسنطينة، وبعد ذلك انتقل إلى جامعة الزيتونة في تونس، ومن تم انقطع عن الدراسة في منتصف الستينات وانضم إلى جبهة التحرير الوطني كعضو في اللجنة الوطنية للإعلام، ثم مراقب وطني حتى أحيل إلى المعاش وهو في سن السابعة والأربعين.

بدأ عمله في الصحافة التونسية فساهم في تأسيس لواء البرلمان التونسي والنداء وأسبوعيات الأحرار الجماهير، الشعب الثقافي، ومجلتي التبيين والقصيدة، ومازالتا تصدران حتى اليوم، كما شغل منصب مدير عام الإذاعة الجزائرية، ثم تفرغ إلى العمل الثقافي، وأسس الجمعية الثقافية الجاحظية منذ عام 1989.

وحسب سيرته السابقة فإنه اكتسب اللغة العربية من دراسته للفقه وعلوم الشريعة، ولأنه كتب بالعربي حاربه العديد من الناشرين الفرنسيين « مهما كانت الإعلام جوازات السفر، مهما كانت وزارات الدفاع فهناك شيء يخترق هؤلاء الناس هو اللغة العربية وما تحمله من عبقرية أبناء هذه الأمة».

ويعتز بأنه لم يدخل يوما مدرسة فرنسية، فقد تعلم اللغة بجهد فردي « بقيت طينة جزائرية طاهرة، صلصالا جزائريا، من قمم وروابي يتقيلالين وتارغات، لا مثيل له في أي مكان من العالم، أنا في كفة، وكل من صنعتهم المدرسة الكولونيالية في كفة أخرى، ليس لي مرجعية في لامارتين أو مونتيسيكو، أو فيكتور هيغو لا تناصص، ولا تلاصص ولا تفاهم لي معهم ».[1]

منذ طفولته – وبسبب بنيته الضعيفة- تماهى مع دلالات الجبال الثبات والتأمل والطموح بتقبيل النجوم... في نجومه (الحب الضائع) القصة الأولى التي كتبها وهو في السابعة عشر من عمره وأنوار الإبداع، المبدع الذي يعتقد أن الكمال كل الكمال فيما يكتبه، إنما انتهى لأنه فقد الطموح لتقبيل نجمة تتخفى في مجرة تائهة في انتظار الحبيب... [2]

لا يكتب إلاّ إذا أحب وكل رواية امرأة جميلة، لكن يرعبه التورط في العشق « كلما اقتربت من امرأة مهما كان جمالها، ابتعدت عني وابتعدت عنها وحدثت هوة بيننا».

وأغلب رواياته ولدت في مقاه منعزلة على شاطئ بحري أو في مقطورات بدرجة حرارة تبلغ الأربعين في الظل فاكتسبن سمرتهن من رذاذ البحر أو وهج الشمس إلى أن استقر قلمه في بيته الخاص.

كرس حياته للعمل الثقافي التطوعي وهو يرأس ويسير الجمعية الثقافية الجاحظية منذ 1989 وقبلها كان حول بيته إلى منتدى يتلاقى فيه المثقفون كل شهر.

---

[1] ديب علي حسن: ورد الكلام، حوارات ومقالات في الثقافة والأدب، مطابع وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2011م، ص332.

[2] المرجع نفسه، ص333.

*** مؤلفاته:**

– المجموعة القصصية:

- دخان من قلبي تونس 1961 الجزائر 1979و 2005.
- الطعنات، الجزائر 1971و2005.
- الشهداء يعودون هذا الشهر (العراق 1974، الجزائر 1984 و2005).

– المسرحيات:

- على الضّفة الأخرى (مجلة الفكر تونس أواخر الخمسينات).
- الهارب، الجزائر 1971 و2005.
- الشهداء يعودون هذا الأسبوع.

– الروايات:

- اللاز (الجزائر 1974 بيروت1982و1983، الجزائر 1981 و2005).
- الزلزال (بيروت 1974 الجزائر 1981 و2005).
- الحوادث والقصر، الجزائر جريدة الشعب في 1974، وعلى حساب المؤلف في 1978 القاهرة 1987 والجزائر 2005.
- عرس بغل (بيروت عدة طبعات بدءا من 1983القاهرة 1988 الجزائر في 1981 و2005).
- العشق والموت في الزمن الحراشي (بيروت 1982 و1983 الجزائر 2005).
- تجربة في العشق (بيروت 1989 الجزائر 1989و2005).
- رمانة (الجزائر 1971 و1981 و2005).

- الشمعة والدهاليز (الجزائر 1995 و2005 القاهرة 1995 الأردن1996 ألمانيا 2001).
- الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي (الجزائر 1999م، 2005م).
- الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء (الجزائر جريدة الخبر وموفم 2005).
- قصيدة في التذلل القاهرة 2010. [1]

– الترجمات:

- ترجمة ديوان للشاعر الفرنسي كومب بعنوان "الربيع الأزرق"، الجزائر1986م، كما ترجمت أعماله إلى لغات عالمية الفرنسية والانجليزية والألمانية، والروسية واليونانية.
- خصص جائزة للرواية تحمل اسمه تشجيعيا للإبداع الروائي.
- نوقشت أعماله في رسائل ماجستير ودكتوراه.

يحتل "الطاهر وطار" مكانة بارزة في وسط الكتاب بالعربية في الجزائر، ويدرس وبشكل مثمر الموضوع الثوري في الأدب الجزائري المعاصر، فتجسد بوضوح في رواتي "اللاز و"الزلزال" هذا الموضوع.

يوم الخميس 12 أغسطس2010، توفي الكاتب الجزائري الكبير "الطاهر وطار" عن عمر يناهز 74 سنة بعد صراع طويل مع المرض، ويعد "الطاهر وطار" من الأدباء العرب المعاصرين الذين أثروا في الساحة الأدبية والثقافية والمسرحية العربية منها والعالمية، بعد ما تُرجمت أعماله إلى أكثر من عشر لغات.

ب/ التعريف بالرواية:

تأتي رواية "الطاهر وطار" " الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" لتعالج مرحلة حساسة عاشها المجتمع الجزائري، وهي مرحلة الإرهاب الذي استغرق فترة غير قصيرة، ارتكبت من خلالها جرائم كثيرة وفظيعة بلغت

[1] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الموقع الإلكتروني: https :www.a ljazeer.net/encyclop.

حدّ الهمجية فعكس بذلك يوميات الجزائري في زمن اللاانسانية، حين يتحدى الموت الذي يخطف الأرواح في أبشع صورة، وعلى هذا النحو تشكلت شخصيات هذه الرواية وأبعادها.

إن زمن كتابة الرواية يمثل فترة ما بين 1993م وصيف 1999م، أي أنها استغرقت ست سنوات، وتأكيدا على ذلك ما جاء في إحدى رسائل الشاعر عبد الله عيسى لحيلح التي أرسلها إلى أهله بتاريخ 27 جوان 1999م والتي جاء فيها ما يلي: « (...) صرت الآن- بعد ست سنوات من الحرب- أعشق التسامح !... لماذا؟ لأن لا يقدر فضيلة التسامح إلاّ من كان ضحية الحقد (...) عبد الله عيسى لحيلح / الجبل 99/06/27 »[1]

الرواية تتشكل من 156 صفحة من المقطع المتوسط، يتكون فضاؤها من ثمانية مشاهد، وكل مشهد يحمل عنوانا معينا هو الآتي:

رقم اللوحة	العنوان	رقم الصفحة
1	تحليق حر	17 صفحة
2	العلو فوق السحاب	36 صفحة
3	السبهللة	26 صفحة
4	في البداية كان الاقلاع	43 صفحة
5	محاولة هبوط أولي	صفحة واحدة
6	محاولة هبوط ثانية	3 صفحات
7	محاولة هبوط أخرى	2 صفحات
8	هبوط اضطراري	صفحة واحدة

[1] الطاهر وطار: الولي يعود إلى مقامه الزكي، منشورات دار التبيين الجاحظية، الجزائر، د ط، 1999م، ص116-117.

*** دلالة العنوان:**

أول ما يلاحظ القارئ على عنوان هذه الرواية أنه عنوان مطول على ما عهدناه عند "الطاهر وطار" بالعنونة ذات الكلمة مثل: "رمانة" "الزلزال"، "اللاز"...فالعنوان مرتبط بمكان هذا ما عهدناه حاضرا في جل روايته تقريبا، حيث يورد الاسم ثم يقرنه بالمكان، وأحيانا تكون هذه الأمكنة ذات مستوى رفيع مثل: القصر المقام، وأحيانا أخرى ذات مستوى – إن صح التعبير- ديني أو غير لائق مثل: الدهاليز، حيث أعطى العنوان موقعا يستحقه لا يستهان به، فأصبح يشكل حمولة دلالية " فهو قبل ذلك علامة أو إشارة تواصلية له وجود فيزيقي مادي وهو أول لقاء محسوس يتم بين المرسل والمتلقي"[1] هذه الصدارة منحت قيمة للكاتب أمدت القارئ بالمفتاح الأول للولوج لعالم النص، كما أنها منحته بعدا جماليا.

وبهذا نأتي لفك الشفرات من الناحية المعجمية والدلالية لفهم وجودها، فكلمة الولي دون اقترانها بكلمة أخرى جاءت لتعني السلطة والزعامة، فقد جاء في لسان العرب "وليّ من أسماء الله تعالى: الوليّ هو الناصر وقيل المتولي بأمور العالم والخلائق، القائم بها، ومن أسمائه عزّ وجلّ هو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها"[2] والولي عند المسلمين بصفة عامة من تطهرت روحه من دنس الدنيا، فاستقامت سريرته وكان عند الناس وجيها، وعند الله مكرما لتقاه ولصدق طاعته.

[1] بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ط1، 2001م، ص36.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ص406.

وإن كان لكلمة "الولي" معان متعددة ودلالات مختلفة فإن "الطاهر وطار" أبعدها عن أي معنى جانبي، وقدّم لها دلالة وحيدة إذ أكدّ "أنه لا يقصد به (الولي) الولاية الصوفية إنما ولاية أدبية ليس فيها تطاول على الأولياء الصالحين ومقاماتهم". [1]

أما لفظة "الطاهر" فقد تكون اسم علم، إذ أن لهجتها الجزائرية والمغاربية قد سارت على منوال العادة، وتكمن هذه الأخيرة في إضافة الألف واللام إلى بعض أسماء الأعلام أمثال، حسين عربي، زين وطار وقد تكون صفة تميز صاحبها كـ: العفة، النقاء، الصفاء، الشرف والنزاهة، وهذا ما برز في البداية، إذ أنه لا يستسلم للإغراءات وكل الملذّات، وكان يخفي عنا أنه لديه صفات دفينة لا يعلمها العامة كالخبث والوضاعة.

أما الجزء الثاني من جملة العنوان "يعود إلى مقامه الزكي" فإنه ينفك بوصفه علامات لغوية، نبدأ بـ "يعود" وهو فعل جاء بصيغة المضارع ليتميز بالاستمرارية والتطلع نحو آفاق المستقبل، كما أنه ذو صيغة ممتدة وحركية دائمة غير مستقرة، وفي سياق صيغة هذا الفعل نجد مصدر "العودة"، وللعودة دلالات مختلفة ومعاني متعددة في شتى المجتمعات وعلى اختلاف صلتها ودينها فهناك عودة المهدي المنتظر، وهو رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يكون ظهوره من علامات الساعة ليملأ الدنيا قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما ويجتمع بعيسى "عليه السلام"، يكون قدومه بمثابة إنذار ليعود الناس لسبيل الخير والهداية، وتعتبر هذه الفكرة من أهم أسس الفكر الشيعي وإن اختلفوا حول الشخص الموكل بذلك.

[1] سمير قسيمي: اتحاد الكتاب يكرم الطاهر وطار، الأحرار، العدد499، 1999م، ص10.

إذن العودة ليست بالمفهوم العادي البسيط هي عودة دينية تاريخية أسطورية وإذا شئنا التدقيق أكثر قلنا: "لقد تعانقت كل هذه الروافد لتظهر في بوتقة واحد لتشكل عودة الولي العجائبية السحرية أي أنه كلما عاد من غيبة أو رحلة إلاّ واصطدم اصطداما مأساويا بحقيقة جديدة كانت غائبة عنه"[1]

سبق وقلنا أن جل روايات "الطاهر وطار" ترتبط بمكان ما وفي هذه الرواية عوّض المكان بالمقام الذي يحمل بعدا صوفيا دينيا فهو هنا موضع مكاني، فالتائب هو الذي يخلق لنفسه مكانا روحيا يكون راحة له من كلّ الذنوب ومعنى هذا أن المقام أو المكان لا يحمل معنى مادي محسوس فقط وإنما روحي ونفسي أيضا.

وإذا أردنا أن نضع المقام والعودة في سياق العنوان ووفق المفهوم السابق للمقام، فإن الولي الطاهر كان في رحلة روحية محاولا استرجاع مقامه أو درجته أو مرتبه التي يكون قد فقدها قبلا. وقد توفرت أغلب عناوين رواية المحنة على طاقات إيجابية كامنة، لا يجد المتلقي عسرا في إدراك إحالتها إلى الجزائر الفتنة وما مرت به من إرهاب دموي مما يورط المتلقي في ميثاق قرآني، فعدد من العناوين يحيل إلى واقع الأزمة من خلال ثنائية "الرصاص" و"الدم" مثلما هو شأن روايات "دم الغزال" لـ "مرزاق بقطاش" "بعد أن صمت الرصاص لـ "سمير قبلي"، و"تماسخت دم النسيان" لـ "الحبيب السائح"، بينما تنعت بعض العناوين الأخرى الإرهاب بصفات سلبية مثل "الآثمون" لـ "الحبيب السائح"، "زنادقة" لـ "سارة حيدر"، وتحيل عناوين أخرى إلى مناخات الفتنة والمحنة التي سادت الجزائر في صيغ مجازية واستعمارية تعبر عن العنف المادي بالعنف الرمزي الدال على السلطة الاسلاموية الغاشمة التي أسهمت في تحويل وجود الشعب الجزائري إلى مأساة وهو ما تمثله عناوين روايات "منحدر السيرة المتوحشة" لـ "واسيني الأعرج"، "انزلاق" لـ"حميد عبد القادر"، "متاهات ليل الفتنة" لـ "حميد العياشي'، "عواصف جزيرة الطيور" لـ "جيلالي خلاص".

[1] المرجع السابق، ص11.

ثانيا: ملخص عن الرواية

الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي هي محاولة لتأريخ ظاهرة ارتبطت بالمشروع والفكر الإسلامي انطلاقا من حادثة قتل " خالد بن الوليد" للشاعر "مالك بن نويرة"، والتي اختلف بشأنها خليفتان من خلال حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، القاضي برجم خالد بن الوليد وحكم أبي بكر الصديق المؤسس على أن من اجتهد ولم يصب فله أجر واحد.

تعتبر رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي آخر رواية في الألفية الثانية، وهي تجربة جديدة كتبها الروائي الطاهر وطار في وقت قياسي جدا، لأنّ التجربة كانت ناضجة في رأس صاحبها منذ سنوات عديدة.

تعالج الرواية إمكانية العودة إلى الماضي، بطلها هو الولي الطاهر، حيث يظهر الولي ضائعا في زمن وهو لا يدري أنّ زمنه قد ولىّ، وأنّ مقامه الزكي الذي بناه منذ وقت طويل ليس له وجود، وثراءات له خيالات قصور عديدة تشبه مقامه، وراح يستذكر ما مرّ به رغم أن ذاكرته لا تسعه حتى لاستذكار ما يحفظه من قرآن لأداء صلواته، يتذكر المقام الزكي الذي أقام فيه منار للعلم هروبا من الوباء الذي مسّ المؤمنين من عباد الله فقد انتشرت مظاهر الفسق والمجون وتحولت أحوال الرجال والنساء، فكثر الزنا، واختلطوا في كل مكان وتداولوا الخمر علنا دون حياء أو خشية، فهرب المؤمنون بدينهم إلى المقام الزكي لكن الذي يحدث أن وباء آخر يمس هؤلاء الهاربين، فمن بين المؤمنات تتراءى لهم هذه القادمة المجهولة التي تطلب من كل رجل أن يتزوجها وإلاّ لحقته لعنة "مالك بن نويرة" الشاعر الصبوح الذي قتله "خالد بن الوليد"، ولما تكشف هذه الفاتنة وجهها يغمى على محدثها، وعندما يستيقظ يجد نفسه قد فكر ذاكرته وخشيته لله تعالى.

فجأة ينقلنا الكاتب بشكل سينمائي إلى ظاهرة أخرى نعيشها نحن في مجتمعنا الآن، تتداعى صورة المسلحين وهم يعبرون الأودية يقاتلون أعداء الله، ومن خلال وصفه للملابس، يتضح أنهم إرهابيون الذين اتخذوا من الجبال حصنا يقاتلون منه، وكما انتقلت حمى قتل الأبرياء في وطننا، يأخذنا الكاتب إلى مدينة الجزائر إلى عالمها السفلي، أو عوالم الليل حيث الخمرات والملاهي، وغير بعيد عنها يتراءى جحيم الموت وهو يحصد الأرواح دون مراعاة للإنسانية المعذبة، فالرصاص يخترق سماء الأحياء الآمنة، والأوامر واضحة « لا يجب أن ينجو أي شخص من القتل»، وتتوالى تسميات آلات الموت: الكلاش، الساطور والمتفجرات، فيموت الذي نطق بالشهادة، والذي يعلن أنه مسلم ملتزم بفروضه، ويموت أيضا من يستعظم باسم الأخوة، والذي يستنجد بالدولة والعسكر، ولعلّ المشهد المؤثر هو صورة المرأة التي ترجوهم أن يسمحوا لها بإرضاع ابنها لكن الساطور يظل سيد الموقف، والدم يتطاير في كل مكان والأرواح تزهق دونما مراعاة الإنسانية، يتشكل طعم المأساة بعد انسحاب القتلة وسلبهم لممتلكات الضحايا، فالدخان المتصاعد من المنازل والصاعد إلى السماء روائح الشعر واللحم المحترق يضيف صورة أخرى للعذاب الذي عاشه الراحلون إلى المقابر، والذي يعيشه من بقي على قيد الحياة، فحتى سرب الحمام ولى تاركا وراءه كيس القمح مبعثرا على الأرض، فقدها له منظر الموت وفقد شهيته للحياة.

إنّ رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" رغم أننا وجدنا صعوبة بالغة للوصول إلى مقاصدها بشكل صحيح، إلاّ أنها تعكس يوميات الجزائري في زمن اللاانسانية، حيث يتحدى الموت الغادر بالأرواح ويخطفها في أبشع صوره، كما أنها رواية استطاعت أن تحقق بصدق واقع الأزمة الجزائرية بعد الانتخابات البرلمانية 26 ديسمبر 1991م، وتجسّد بحق ذلك الواقع المرير الذي مرّ به كل جزائري في سنوات الجمر الماضية، أين أصبح الموت عنوان الحياة في تلك الفترة الدموية.

ثالثا: مرجعية الرواية

بعد أكثر من قراءة لرواية "الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" "للطاهر وطار"، تراءت لنا عدة مسارات تتشابك مع بعضها أحيانا كثيرة، ثم لا تلبث أن تبتعد وتشكل نقاط يصعب جمعها والخروج منها بصورة متكاملة، وكما هي عادته دوما يركز الروائي في سرد وقائع الرواية، وتداعيات الأحداث إلى المرجعية التاريخية والصوفية، ولئن كنا نرى بأن الجانب الأخير يظل مهيمنا على الرواية، إذ يدل عليه بدءا من عنوانها، فالطاهر وطار يقول « إن الفنان فيّ يقرأ التاريخ ومضة ((حالة)) بالتعبير الصوفي»[1] ولربما لهذا السبب كانت الشخصية في الرواية صوفية، تعيش حالات تتجسد في حالة واحدة.

ولئن كنا نتكلم على نص روائي وليس على نص صوفي، إلاّ إننا نتفاجأ بعدد كبير من الإشعاعات والشطحات الصوفية، التي يرميها الكاتب في وجوهنا لكونها ترسم البعد المضموني الفكري للرواية وتعبر عن موقف البطل إزاء الكون والأشياء وكأن الصوفية قد أصبحت إيديولوجيا تتوخى تخليص البطل من صراعاته وتناقضاته وشقائه، وعدم تكيفه مع المحيط، فهي الملجأ الذي سند إليه رأسه، ويرى العالم من خلاله. [2]

أما عن المرجعية التاريخية ففي حوار بين الطاهر وطار والخليج الثقافي الذي جاء، أن روايته تتكئ على حادثة مقتل الصحابي الشاعر "مالك بن نويرة" من قبل خالد بن الوليد الذي تقول الروايات أنه تزوج زوجة القتيل "أم متمم"، وكان موقف أبو بكر الصديق أن خالد اجتهد وإن لم يصب فله أجر، والجانب التراجيدي

[1] الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص9.

[2] إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار،ص218.

في الحادثة هو مقتل شاعر صحابي « ويبدو لي أن القتل في التاريخ العربي يواجه بفتاوى مختلفة تنبع من تكييف المجتهد للحادثة واتكأت في الرواية على هذا البعد التاريخي لأعرج على القتل في الزمن الراهن».[1]

وتدخل هذه الكتابة ضمن تيارات الكتابات الواقعية الهادفة من اجل التعبير عما يحدث في الجزائر من أزمات مختلفة، وأبرز ظاهرة هي ظاهرة الإرهاب التي تجسدت في الكتابة الروائية منذ التسعينات وجاءت بشكل صريح في روايته "العشق والموت في زمن الحراشي"، لكنها جاءت بشكل أعنف في روايته الأخيرة فهو يصور لنا كيف عاشت الجزائر الإرهاب في أصعب حالاتها، إذ يقول وطار: « إنّ محنة التقتيل أصابت مثقفين وهجرت مثقفين، وحمى الله مثقفين آخرين».[2]

كما أنه يكشف عن غرض آخر يبين من خلاله الانحلال الخلقي الذي أصاب المجتمع، وهذا ما نلاحظه في روايته في وصفه للفتاة التي تلبس الجينز وتمضغ العلك بوقاحة كبيرة:« ...ثم قميصا حريريا ورديا ثم سروال جينز بعضه مبيض وبعضه يحتفظ بزرقته الدكناء، وقذفت بحذائها ذي الكعب العالي...» [3] وإلى غير ذلك من الأمثلة التي تدل على الانحلال الأخلاقي.

وإن هذه الرواية، رغم ما فيها من تجريد وسريالية، هي عمل واقعي يتناول حركة النهضة الإسلامية بكل تجويفها وبكل اتجاهاتها، وأساليبها أيضا.

---

[1] عياش يحياوي: حوار مع الروائي الطاهر وطار، مجلة التبيين، العدد15، 2000م، ص85.

[2] المرجع نفسه، ص86.

[3] الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص86.

رابعا: تجليات العنف في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي

استطاعت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" أن تحقق بصدق واقع الأزمة الجزائرية بعد الانتخابات البرلمانية في التسعينات، وتجسد بحق ذلك الواقع المرير الذي مرّ به كل جزائري في سنوات الجمر الماضية، أين أضحى الموت والقهر والغدر عنوان الحياة في كل فجر جديد، حيث استيقظت الجزائر برمتها على مسرحية الذبح التي أتقن أدائها أولئك الخارجون عن الدين والقانون.

لقد جاءت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" غنية بالإيحاءات والدلالات والصور التضمينية وكذلك الأحداث الواقعية والمتخيلة البعيدة والقريبة، على اعتبار أن الرواية المعبأة بإيحاءات والأحداث والشخصيات هي دائما مسكونة حقيقة بعبقرية الممكن الذي يعتبر المبدأ الفعال لكل رواية. [1] وقد تشابكت في نسج الأحداث جملة من الحقول الدلالية تباينت ما بين التاريخي والسياسي، وكذلك الديني لكن "الطاهر وطار" اختار لها الأسلوب الصوفي أو الرؤيوية في الكتابة التي تجعل الانتقال بين عوالم الرواية وأحداثها وخيالاتها المتشتتة بين غياب الماضي ومتاهات التاريخ، وبين تعرجات الحاضر ودهاليز الواقع، يتم بسهولة وحرية، ثم إن هذه الطريقة في الكتابة هي شكل من أشكال رفض المجتمع والعالم والتمرد على الواقع، لهذا جاء هذا النص الروائي "نموذجا عن الرواية المغلقة التي تدور في حلقة واحدة دون أن تصرح بما تقول"[2]. فالولي الطاهر أو الشخصية الرئيسية في النص يعيش حالة من التيه والضياع أثناء رحلة البحث عن المقام

[1] المرجع السابق، ص59-60.

[2] حسان راشدي: الرواية العربية الجزائرية مرحلة التحولات، صيرورات الواقع ومسالك الكتابة الروائية مقاربة بنيوية تكوينية، رسالة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002م/2003م، ص390.

الزكي، فيلقى نفسه في الحالة ذاتها التي انطلق منها مرة وهو يحسب أنه قطع مسافات تقربه من هدفه وهو المقام الزكي. [1] ونفهم من هذا أن الواقع هو الذي يفرض على الكاتب نمط الرواية ومضمون العمل.

والحقيقة أن الطاهر وطار في روايته لم يكن ليعنى بتحليل الواقع الجزائري من خلال مرحلة الأزمة والوقوف منه موقفا نقديا فحسب، ولكنه كان يحاول الكتابة عن الوضع الاجتماعي ودوره في الفساد السياسي الذي انتهى بالواقع الجزائري نحو فوهة الانفجار. [2]وفي مطلق الأحوال نقول أن الروائي بقي رهين الواقع، وهذا ما نخلص إلى نقطة جوهرية في الكتابة الروائية المعاصرة "كاتب يعتقد أنه واقعي ولا أحد يقول أنه تجريدي أو ميال إلى الخيال والأوهام ولا أحد يعتقد أنه مزيف، ولا شك أنه من الضروري التصديق مما يخص هذه النقطة، فالعالم الواقعي هو الذي يثير اهتمام الكاتب وكل منهم يحاول أن يخلق واقعا، وإذا كان الكتاب لا يتفوقون فذلك لأن لكل منهم أفكاره الخاصة عن الواقع، فكل منهم يتحدثوا عن الواقع كيفما يراه ولكن لا أحد يراه مثلما يراه الآخر". [3] لأن الروائي في الحقيقة لا يسرد ما جرى إنما يسرد ما يجري في مخيلته انطلاقا من زاوية معينة وما وقع له في هذا العالم.

لقد جاءت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" لتعكس مرة أخرى التزام الطاهر وطار بقضايا واقعه وإيمانه المطلق بضرورة التغيير الذي يمر عبر عملية هدم للأبنية السائدة وبناء أبنية جديدة تعيد التوازن المفقود وتمكن من تطور الحياة، فقد كان الكاتب في هذه الرواية حريصا على تشخيص الواقع الجزائري وتصوير حركته برؤية ملتزمة وإحساس فنّي بدور الكلمة في التعبير عنه، وهو يتتبع مسار الحركة الدينية وتطورها في مناطق إسلامية متفرقة حيث مثل الواقع الجزائري جزءا هاما من الخريطة الجغرافية المعنية بالوباء، ومن تم فقد

---

[1] المرجع السابق، ص ن.

[2] المرجع نفسه، ص ن.

[3] آلا ن روب غرييه: نحو رواية جديدة، مج1، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، د ب، ط1، 1998م، ص131.

كان هدفا للجماعات الإسلامية المسلحة التي جعلت منه مسرحا واسعا أمام تراجيديا العنف، وهو يحتضن أشد المعارك شراسة ودموية كما هو الحال في هذا المشهد الذي يضعنا فيه الروائي على عتبة عالم واقعي مشجون ومشحون محاولا بذلك أن يرسم خطوطا على صفحات الأزمة المستفحلة يقول: "مدينة الجزائر تبدو من بعيد نورا يتوهج نحو الأعلى ولا أحد يعلم عما تنام عليه من نواقض الوضوء ومن تدابير عاصفة لكنها في العمق هي كهف مدلهم لا آخر لطوله ولا نهاية لعرضه تملأه الدواب من كل نوع ومن كل حجم بعضه ديناصورات بعضها تماسيح وبعضها ضفاضع وقمل، وبعضها يقضم أيدي بعضه، بعضها يقضم أرجل بعضه". [1] إنها الحال في الجزائر فقد تحول الواقع إلى حظيرة تضع أنواعا من الوحوش الآدمية والدواب الخطيرة الجارحة تنهش بعضها البعض، دونما تمييز في إشارة صريحة إلى الفترة الساخنة من الجحيم الإرهابي، حيث تحول العمل من استعمال المصحف والكلمة الطيبة إلى استعمال السلاح والرصاص.

لقد كان الكاتب في هذه الرواية قريبا جدا من الحدث وهو يرصد ما آل إليه الواقع الجزائري، فحين يصف مدينة الجزائر نحس أنه فعلا كان داخل أسوارها ومع الخائفين فيها مما يشكل انزياحا لنفسية القارئ وكذلك حين يصف تلك المشاهد الملتهبة والمجازر الإرهابية الساخنة التي استطرد في رسم تفاصيلها، وهي تعكس في مرارتها قوة الهجمة الشرسة التي تعرضت لها الجزائر وعمق المعاناة التي تكبدتها جراء عنف الجماعات الإسلامية المسلحة، قد كان الكاتب دقيقا في الوصف والمعاينة باعتباره عايش كل فترات الأزمة وذاق مرارتها كما يوضحه هذا المشهد الذي يصور فيه الولي الطاهر إحدى المعارك التي قادها بأحد أحياء الجزائر يقول: "بينما هناك جنب أولاد علال في الرايس خارج النفق ولكن في ظلمة لا تشقها سوى رصاصات محمرة تخبط الفضاء أو هيب منبعث من منزل من المنازل أو نار عقبت انفجار قارورة ملأى بالبنزين وجدت نفسي

[1] الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، ص98.

مضطرا لإصدار الأوامر، المدخل الرئيسي لغموه واكمنوا حوله، كل من يتقدم أصلوه نار المنافذ الأخرى للحي سدوها بكل الوسائل لا داخل ولا خارج ولا الحي في الحي". [1]

وفي مكان آخر يقف الكاتب عند إحدى المداهمات التي قام بها الولي الطاهر لأحد البيوت يقول: "هناك في الزاوية تحت مائدة عليها غطاء أصفر يتخفى طفل في السابعة من عمره، هوى الفأس على المائدة وعلى من تحتها، انفجر الدم في كل مكان في الزاوية الأخرى تنكفئ على نفسها امرأة في حضنها رضيع تبدل قصارى جهدها أن لا يُلفت الانتباه إليه لكنه خانها، هوى الساطور يقسم الرأس وقع الطفل على الأرض امتدت قدم تدوسه، فار الدم، صارت الجدران تترقص، انطفأ كل شيء توقفت الحياة في هذا المنزل"[2] مثلما توقفت في كثير من بيوت الجزائر بعد أن تقرر في لحظة ما من هذا التاريخ أن تتغير خريطة الحركة والناس والبيوت والأحياء وحتى الزمن، وإعادة رسم خريطة أخرى للجزائر.

إن التطرف الديني الذي شهده المجتمع الجزائري خلال العقود الأخيرة لم يكون إلا شكلا من أشكال التطرف العامة في المجتمع نتيجة الفساد السياسي والاقتصاد والتحلل الأخلاقي والاجتماعي المتزايد، يقول الراوي: "كالحرب سرت عدوى الفسوق والفجور والاستخفاف بكل قيم الأولين، لكن الناس لم يعودوا يحكون جلودهم إذا مانبه أحدهم إلى واجبه أو نهي عن منكر ردّ مستغرب كلنا مسلمون، لا أحد أعلن عن تغيير في المفاهم والقيم والمسميات". [3] لهذا فإن الحركات الدينية المتطرفة لا تمثل بالضرورة القاعدة الاجتماعية للجماعات الإسلامية ولا تمثل بالضرورة إتباع الإسلام السياسي.

---

[1] المرجع السابق، ص99.

[2] المرجع نفسه، ص101.

[3] المرجع نفسه، ص22-23.

يقول الولي الطاهر: "يهوى الساطور، يتدفق الدم، يتطاير الرأس... اقتلوا، اقتلوا النساء والأطفال والعجزة والمرضى". [1]

يواصل الكاتب تفجير الأزمة الدينية التي مزقت الدين وذهبت بأصحابه مذاهب شتى فاختلطت على إثرها المفاهيم وتباينت فيها الرؤوى وتعددت حولها التساؤلات والاحتمالات، وفي حين تتعدد المواقف والتهم يظل الإسلام هو الضحية الأولى للعنف والقتل في الوطن، ويتكثف المشهد الإرهابي أكثر في الرواية عندما يقودنا الولي الطاهر بقدرة الكاتب على المراوغة والانتقال بين عوالم النص إلى إحدى المعارك التي خاضها في واحد من شوارع العاصمة عبر المقاطع السردية التالية:

لا حي في الحي سوى من يتقرر تسببها.

لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله.

يهوي الساطور، يتدفق الدم يتطاير الرأس.

أنا مسلم أصلي وأصوم...

يهوى الساطور، يتدفق الدم...

يا إخوتي، يا إخوتي.

يهوي الساطور، يتدفق الدم...

مجازر جاءت في سياق المنطق الغريب الذي يبيح قتل الأبرياء دون تمييز فيصور وطار في صفحات عديدة مشاهد فضيعة لعمليات قتل غاية في البشاعة من حرق وقتل وتخريب، كأنه كان يعيشها أو كأنه كان يضع من نفسه صحفيا عاينها عاشها لحظة بلحظة.

[1] المرجع السابق، ص105.

كما أن هذه الرواية تحكي عن سنوات الجمر في الجزائر ولكنها تحاول أيضا أن تخوض في ظاهرة عن طريق الرجوع إلى التاريخ من الحركة الوهابية بالجزيرة العربية إلى الشيشان وأفغانستان إلى السودان ومصر ثم وصولا إلى الجزائر، وخلال هذا المسار يحاول الطاهر وطار أن يبين للقارئ أن الحرب الملتهبة في الجزائر هي من طبيعة الحرب الجارية في أفغانستان والسودان التي شهدت ثورة إسلامية انتهت بقيام النظام الإسلامي يقول: "طائرات أمريكية تقصف معملا للأدوية بالسودان المعمل يقال إنه للأسلحة الكيماوية تشترك فيها العراق، الولايات المتحدة الأمريكية واثقة بأن المعمل من إنشاء بلادنا". [1]

كما وظف "الطاهر وطار" بعض الشخصيات الدينية والتاريخية ومنها توظيفه لشخصية الفاروق "عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إثر مقتل "مالك بن نويرة" على يد "خالد بن الوليد" بعد اتهامه بارتداد عن الدين الإسلامي والخروج عن الملة والاختلاف الذي حدث حول ذلك انتصار الخليفة أبو بكر الصديق لخالد رغم عدم ثبوت التهمة على مالك، حيث ربط الخليفة الصديق موقف خالد بالاجتهاد في مسائل الدين والجهاد في محاربة المرتدين وحماية الدين الإسلامي من البدع، فهذا الاستشهاد بالحوادث الإسلامية التاريخية يؤدي في حقيقة الأمر وظيفة حاضرية تهدف إلى تفسير بعض الحوادث التي ترتبط بالراهن، وربطها بالجهاد والاجتهاد فهي تعبر بشكل ما عن واحدة من أعظم وأعنف حروب الردة التي يعيشها المجتمع المعاصر في الجزائر بشكل أدق في ظل تغير المفاهيم واندثار القيم وانتشار الفساد.

ينقلنا وطار فجأة إلى قضية أخرى ممثلة في عبور المسلحين الأودية لقتل أعداء الله، ودل وصفه إياهم أنهم مجموعة إرهابية تتخذ الجبال حصن لها، تقتل الأبرياء وتحصد أرواحهم، فنبرة القتل بارزة "لا يجب أن ينجو أي شخص من القتل"، فلم يسلم من هؤلاء الإرهابيين من ينطق الشهادة أو من استنجد بالدولة أو

[1] المرجع السابق، ص133.

العسكر، بل حتى تلك المرأة التي ترجمتهم أن ترضع ابنها فلم تسلم، وعبر هذا المقطع السردي ينتقل الروائي مع الولي الطاهر الذي انتابته حالة من الصراع إلى "عرض جبال لا يعرفها تتخللها وديان غزيرة المياه وسط قوم على رؤوسهم قلنسوات من صوف مزركش لهم لحي مخضبة "بالحناء" تبلغ لدى بعضهم الركب يرتدون جلابيب رمادية تعلوها طبقة خفيفة من تراب في عيونهم الكُحل في شفاتهم السواك، لم يفهم من لغتهم ومما هم يفعلون سوء إطلاق الرصاص على أناس في الطرف الآخر من الوادي، لهم نفس الفلنسوات ونفس الجلابيب ونفس اللحي..." [1]

إن القارئ وهو يتتبع مسار الرواية السردي في علاقة الشخصية المحورية مع بلارة يستطيع من خلال القرائن والمرجعيات السردية التي تعمد الكاتب بثها بين ثنايا النص، أن يدرك الصور الدلالية التي تنطوي عليها شخصية بلارة في الخطاب الروائي، إذ ترمز إلى الجزائر يقول الكاتب: « بيضاء مستديرة الوجه عيناها كبيرتان كالحتا السوداء، فمها صغير مستدير، مكتنز الشفتين، أنفها الأفطس يضفي على ملامحها مسحة هرة أو لبوءة». [2]

وفي مكان آخر يقول: « بلارة الفتنة الآمازيغية»[3] بلارة تتخذ بعدا رمزيا وواقعيا، فهي تريد أن تزاوج بين حضارتين مختلفتين مما جعلها تحاول الاتصال مع الولي الطاهر الذي يتمتع بمواصفات عربية إسلامية تبحث عنها، لقول بلارة وهي تجيب عن تساؤل حول أسباب رغبتها في تحقيق العلاقة الاتصالية بينهما: « للصفة التي تتمتع بها فأنت قطب حقيقي من خلال محك وخلايا تستطيع استقطاب كل تلفزات العالم وكل الأقمار الفضائية التي تسبح في السماء، ولربما تتصل بكواكب وعوالم أخرى، أنت مثلي يا مولاي

[1] المرجع السابق، ص131.
[2] المرجع نفسه، ص69.
[3] المرجع نفسه، ص61.

الطاهر»[1] وهي إشارة إلى طبيعة السكان الأصليين في الجزائر وعلاقتهم بالفاتحين العرب، حيث يتمتعون بقدرة فائقة على استقطاب الآخر واستيعابه والانصهار معه.

تحدث الكاتب عن شخصية أخرى في الرواية شخصية المتطرف الإرهابي « فتح الملصقة فيها صورة لشاب تغطي وجهه المربع لحية، سوداء وتلمع عيناه السودوان، تهمان الإفصاح عن شيء يثقل صدر صاحبه صاحبها مجرم خطير، يكفأ من يأتي به حيا أو ميتا، بمليون دينار ».[2]

إن رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ورغم الأحداث الزاحفة داخلها تعتبر من الروايات التي تناولت الواقع باقتراب لصيق من الأحداث، وهي بهذا تدخل ضمن الأدب الراهن الذي لا يتبع سنة العلاقة بين الأدب والحدث والتي غالبا ما تكون بشكل ارتدادي يتطلب زمنا بفصل الحدث عن العمل الإبداعي، إنها تقترب كثيرا من الروايات الصحفية التي ترصد كل جديد على مستوى الواقع فتصف الأحداث وصفا، ويبقى الأكيد أن "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" هي رواية إشكالية بصيغة حداثية تنفتح على عدة قراءات ونحن إذا نقرأها نشعر بجرأة الكاتب وجسامة المهمة التي ألقيت على كاهله بوصفه مثقفا، وبوصفه مخضرما أيضا عايش الأزمة الجزائرية بتفاصيلها، فإنتاج وطار الروائي بمثابة مرآة تعكس صورة الجزائر، فرواياته تناقش كل مرحلة من المراحل التي مرت بها الجزائر وتحللها، وتمعن في تصويرها، بدءا من الثورة التحريرية المباركة، مرورا بالدعوة إلى تطبيق الثورة الزراعية في السبعينات، وصولا إلى البحث في خلفيات الحركة الأصولية في الجزائر.

يقول الطاهر وطار أنّ "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" ما هي إلاّ جزء ثاني من رواية الشمعة والدهاليز، وكمقارنة صغيرة بينهما يجد القارئ تشابها كبيرا بين شخصيات الروايتين وخاصة في مواقفها

[1] المرجع السابق، ص118.
[2] المرجع نفسه، ص94.

وأفكارها، فالولي الطاهر والشاعر كلاهما أراد إصلاح المجتمع، فالأول قتل على يد متطرفين والثاني لحقته اللعنة وضاع في الفيافي والخيزران وبلارة أيضا كلاهما امرأتان جزائريتان تمثلان المرأة الجزائرية، الأولى كانت أما لأفضل الخلفاء في العصر العباسي، وهو هارون الرشيد والثانية استطاعت أن تطفأ نار الفتنة بين الحمادين والزيريين وأيضا نجد هذا الاندماج موجودا بين عمار بن ياسر وعيسى لحيلح اللذان مثلا الإنسان المثقف المتطرف فالأول مهندس وفي النفط والثاني أستاذ جامعي كلاهما تركا عملهما الأصلي وانخرطا في تكوين جماعات مسلحة وعمليات إجرامية، وهنا يظهر التقارب واضحا بين شخصيات روايات الطاهر وطار وخاصة في العشرية السوداء، ففي حين مثلت الشخصية الأنثوية المرأة الجزائرية عبر مختلف الحقب الزمنية التي مرت فيها الجزائر، مثلت الشخصيات الذكورية الرجل المثقف الذي انقسم بين إنسان يختار التطرف والقتل ويراه السبيل الوحيد لتحقيق أحلامه، وآخرون رأوا أن الرجوع إلى الإسلام وتعاليمه هو الصواب، فدفعوا نتيجة أفكارهم وآرائهم حياتهم.

خامسا: تقييم الرواية

يجمع الدارسون أو يؤكدون على أن الأديب الراحل "الطاهر وطار" هو مؤسس الرواية العربية في الجزائر فقد فرضت أعماله حضورها القوي سواء في الجزائر، أو في شتى أقطار الوطن العربي، فالطاهر وطار هو الذي أوصل صوت الرواية الجزائرية إلى مختلف أصقاع الوطن العربي، والذي عرّفهم بتحولات المجتمع الجزائري، فالمتابع لأعماله الروائية والقصصية والمسرحية يلاحظ أنها تقدم رصدا شاملا لأهم التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها الجزائر مدة ما يربو عن نصف قرن. وهذا ما جعلها تحظى باهتمام من قبل النقاد والدارسين في الجزائر وسائر دول المغرب العربي، وكذلك في المشرق، فأنجزت مجموعة من الدراسات عن أدبه.

يُعد كتاب « الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار» للباحث الجزائري "إدريس بودية"، واحدا من أهم الدراسات التي أنجزت عن أدب الطاهر وطار الروائي، فهو مساهمة ثمينة في دراسة أدب "الطاهر وطار"، فهو يهدف من خلال دراسته إلى إبراز مختلف المظاهر المتعلقة بتحولات الرؤية الفكرية والبنية الروائية، والكشف عن تطورها من نص لآخر من نصوص الطاهر وطار. [1]

لقد كان التحول مع الروائي "الطاهر وطار" منذ أن ظهرت أعماله بدأ النقاد في الجزائر والمشرق ينظرون بجدية إلى عناصر التفوق والتفرد التي طبعت أعمال هذا الروائي الجديد.

إن روايات وطار كانت باستمرار مصدر إفتتان وغواية، في موضوعاتها بالنسبة لعدد كبير من الروائيين الذين أعادوا صياغتها وفق منظوراتهم الفكرية والفنية المختلفة ويعود هذا لقدرة هذه الروايات على استقطاب الأحداث الاجتماعية وامتلاكها للوعي بالواقع والكشف عن نوعية العلاقات التي تتحكم في سيره، وبلوغها درجة عالية من الانسجام.

وانطلاقا مما تقدم يمكننا أن نقر بأنه حين قراءتنا لكتابة الراحل الطاهر وطار، فإننا حتما نقرأ مشروعا روائيا ضخما يتسم بالتماسك والترابط أي نعم مصورا لإيديولوجيته لكنه ناقدا ومناضلا للوضع الراهن، طالبا البديل فصور لنا معاناة المثقف وتهميشه وليس هذا فقط بل وتحويله من فاعل في وظيفته الاجتماعية والثقافية إلى معزول عن المجتمع برمته، وهذا ما يؤدي في نظره إلى خسارة كبيرة للوطن، بسبب تجميد إبداعات هذا المثقف وأفكاره، فوطار يوضح لنا ويصور جلية كيف تم إسقاط الصفة القانونية للمثقف الجزائري وإبعاده عن المشاركة في استنهاض أمته وصناعة مستقبلها.

[1] إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ص ص30-31.

كما أن السلطة في نظره على مختلف أشكالها تسعى للسيطرة على مجتمعها لضمان استمراريتها ولتنفيذ برامجها، فالمثقف هو المالك لذلك الفكر النقدي وهو المتحدي والثائر يقع في الأخير في مصيدة الرهن والتهميش.

إن الكتابة الروائية الجزائرية اجتهدت كثيرا في احتواء الأزمة والتعبير عن مخاوفها وهواجسها من خلال الأعمال التي تطرقت إليها وأعمال أخرى لم يسع المجال لاقتحامها واستجلاء مظاهر أخرى للأزمة منها، وعلى العموم أغلبها يشترك في كشف ملامح وجه الأزمة الجزائرية وإماطة اللثام عن كل دقائقها وتقاسيم وجهها بفاعلية فنية تعكس عمق التجربة وجمالية التعبير والإحتواء من خلال السرد الروائي المحكم والمتقن.

خاتمة

خاتمة

في نهاية هذا البحث نحاول تقييم المسار الذي قطعناه انطلاقا من الأفكار النظرية التي تمت صياغتها في المقدمة وفي هذا الإطار نوجز أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها كما يلي:

- تبين لنا أن العنف ليس عنفا له شكل أو نمط واحد، وإنما هو أشكال وأنماط: العنف الجسدي والعنف المعنوي والعنف المشروع وغير مشروع، والعنف الفردي والعنف الجماعي، والعنف الأسري والعنف ضد المرأة والعنف الإرهابي.

- امتزجت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" مع الراهن الجزائري فكانت قريبة جدا من الحدث، وهي ترصد مشاهد العنف والاغتيال التي صاحبت عمليات الحركة الدينية في صورة صادمة خلال مرحلة العنف.

- ارتبطت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" في مراحلها الأخيرة برؤية إيجابية عبرت عنها من خلال هاجس الوئام المدني والسلم والمصالحة الوطنية.

- لقد صورت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" مجتمعا غلب عليه الظلم والفساد، وتراجع فيه الخير والأمان وانعدمت الثقة والطمأنينة، وصار القتل سائدا في أبشع صوره.

- ركزت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" على أزمة المثقف الحداثي الذي يمثل الرأي الآخر.

- ارتبطت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" بالذاكرة التي كانت تيمة رئيسية إلى جانب تيمة العنف.

- تصور الرواية التحولات الحاصلة بالمجتمع الجزائري، ما بين فترة الاستقلال إلى غاية فترة التسعينات مع التركيز على أشكال العنف السياسي في قوالب فنية جميلة.

خاتمة

– ارتبطت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" بالواقع الإيديولوجي، حيث استند الروائي على مجموعة من الصراعات والقيم محاولا تكوين رؤية إيديولوجية مغايرة للراهن.

– لقد صورت رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" التزام الطاهر وطار بقضايا واقعه وإيمانه المطلق بضرورة التغيير وبناء أبنية جديدة تمكن من تطور الحياة.

– كما أن هذه الرواية ترصد لنا سنوات الجمر في الجزائر كما تحاول أن تخوض في ظاهرة أخرى عن طريق الرجوع إلى التاريخ.

وفي الأخير نرجو أننا قد وفقنا ولو بالشيء القليل في إعطاء لمحة وجيزة عن صور العنف في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي"، وقد أفدنا كما استفدنا من هذا العمل المتواضع ونتمنى أن لا يكون نقطة نهاية بحثنا بل نقطة بداية بحوث أخرى في هذا الموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

أولا– المصادر:

1– المصدر:

1. الطاهر وطار: الولي يعود إلى مقامه الزكي، منشورات دار التبيين الجاحظية، الجزائر، د ط، 1999م.

2– المصادر الثانوية:

2. رشيد بوجدرة: تيميمون، دار الإجتهاد، الجزائر، د ط، 1994م.

3. محمد ساري: القلاع المتآكلة، منشورات البرزخ، الجزائر، د ط، 2013م.

ثانيا– المراجع بالعربية:

4. أحمد أبو السعد: فن القصة، الجزء1، دار الشرق الجديدة، د ب، د ط، 1959م.

5. أحمد سيد محمد: الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب (لمحمد ديب ونجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت.

6. إدريس بودية: البنية والرواية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000م.

7. إدريس بودية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، دراسة نقدية، ط1، 2000م.

8. بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، عمان، ط1، 2001م.

9. بشير بويجزة محمد: بنية الشخصية في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، ط2، 2006م.

10. جعفر يابوشي: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمال، مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، د ط، 2007.

11. حسن إبراهيم أحمد: العنف من الطبيعة إلى الثقافة، الناي للدراسة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2009م.

12. حسنين توفيق إبراهيم: ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، المجلد1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1992م.

13. حسيني صفوان حسام: تناول الإعلام لظاهرة العنف في الجزائر من خلال الصحافة المكتوبة، ص14.

14. حفتاوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د ط، د ت.

15. حفيظة طعام وآخرون: المثقف والسلطة في روايات عز الدين جلاوبي، (ضمن سلطان النص)، 16:15، 2008م.

16. خالد بن سعود الحلبي: العنف الأسري أسبابه ومظاهره وآثاره وعلاجه، حملة الحد من العنف الأسري، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، د س.

17. الداهي محمد: سيميائية السرد (بحث في وجود السنمائي المتجانس)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

18.ديب علي حسن: ورد الكلام، حورات ومقالات في الثقافة والأدب، مطابع وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، ط1، 2011م.

19.سعد الله أبو القاسم: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، د ت.

20.سعد الله محمد غانم: أطياف النص (دراسات في النقد الإسلامي المعاصر)، عالم الكتاب الحديث، د ط، 2000م.

21.الشريف حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، المجلد1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

22.شكور جليل وديع: العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، القاهرة، مصر، ، د ط، 1997م.

23.صطفى الكيلاني: إيديولوجيات العنف، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2015م.

24.عاطف عدلي العبد العديد: مدخل على الاتصال والرأي العام، المجلد1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.

25.عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، الجزائر، د ط، 1974م.

26.عبد الله عبد الغني غانم: جرائم العنف وسبل المواجهة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ط1، 2004م.

27.عبد الناصر حرير: الإرهاب السياسي، دراسة تحليلية، مكتبة مذبولي، القاهرة، مصر، د ط، 1996م.

28.عزب: تقديم د.فؤاد زكرياء، سيكولوجية الإرهاب والجرائم والعنف، دار سلال، الكويت، ط1، 1988م.

29.علي سموك: إشكالية العنف في المجتمع الجزائري – من أجل مقاربة سوسيولوجية–، مختبر التربية، الإنحراف والجريمة في المجتمع، عنابة، الجزائر، د ط، 2006م.

30.علي سموك: إشكالية العنف في المجتمع الجزائري من أجل مقاربة سوسيولوجية، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بقسنطينة، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، د ط، 2016م.

31.فيصل دراج: دلالات العلاقة الروائية، مج1، دار كنعان للطباعة والنشر، د ب، ط1، 1993م.

32.محمد حسن أبو العلاء: العنف الديني مصر، دراسة في علم الاجتماعي السياسي، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، القاهرة، ط2، 1998م.

33.محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية، المجلد1، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، ط1، 2015م.

34.محمد كامل الخطيب: الرواية والواقع، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، ط1، 1981م.

35.محمود سعيد إبراهيم الخولي: العنف في مواقف الحياة اليومية، نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الإسراء، د ب، ط1، 2006م..

36.مخلوف عامر: توظيف التراث في الرواية الجزائرية، بحث في الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات دار الأديب، د ب، ط1، 2005م.

37.مدحت مطر: تنامي ظاهرة العنف في المجتمع وعلاجها، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة العربية، 2014م.

38.مديحة عبادة، خالد أبودوح: العنف ضد المرأة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008م.

39.مرفت تلاوي: العنف ضد المرأة، 15 محمد محافظ متفرع من شارع الثورة، المهندسين، الجيزة، مصر، ط1، 2012م.

40.مسعود بوسعدية: ظاهرة العنف في الجزائر والعلاج المتكامل، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، د ط، 2011م.

41.مصطفى عمر النير: العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، ط1، 1997م.

42.مصطفى مصباح دبارة: الإرهاب مفهومه وأهم جرائمه في القانون الدولي الجنائي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، د ط، 1990م.

43.معمر خليل العمر: علم اجتماع العنف، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م.

44.نجم عبد الله كاظم: الرواية العربية المعاصرة والآخر (دراسات أدبية مقارنة)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، د ط، 2007م.

45.واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986م.

رابعا– المعاجم:

46.جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور أبي الفضل: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط5، 2005م.

47.الفيروز آبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

48.محمد عاطف غيث: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ط1، 1986م.

ثالثا– المراجع المترجمة إلى العربية:

49.أرندت حنة: في العنف، تر: إبراهيم العريسي، دار الساقي، بيروت، لبنان، د ط، 2015م.

50.آلا ن روب غرييه: نحو رواية جديدة، مج1، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، د ب، ط1، 1998م.

51.روجرب هينكل: قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير)، المجلد2، تر: دكتور صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2005م.

52.فريق من الأخصائيين: المجتمع العنف، تر: إلياس زحلاوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د ب، ط3، 1993م.

53.فليب برنو وآخرون: المجتمع والعنف، تر: الأب الياس رخلاوي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د ط، 1957م.

خامسا– المجلات والدوريات:

54.مجلة المثقف العربي والعنف ظاهرة العنف في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد140، أكتوبر 1990م.

55.مجلة العنف في الرسم العراقي المعاصر، مجلة الأكاديمي، العدد87، 2018م.

56.مجلة الأدباء الشباب والعنف في الوقت الراهن، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الاجتماعية، العدد10، جانفي، أفريل2000م.

57.مجلة مدخل حول العنف والعنف الإسلامي، الحالة المصرية، مجلة الوحدة، بيروت، العدد43، 1988م.

58.مجلة حوار مع الروائي الطاهر وطار، مجلة التبيين، العدد15، 2000م.

59.مجلة الأحرار، العدد499، 1999م.

60.مجلة أسطورة الإرهاب، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، العدد39، 1986م.

61.مجلة ثيمة العنف في المتون الروائية، مجلة تاريخ العلوم، العدد4، جامعة تلمسان، د ت.

62.مجلة العدوان والعنف في الأسرة، مجلة الأحرار، العدد795، أكتوبر 2000م.

63.مجلة العنف ضد المراة قراءة في روايات فضيلة الفاروق، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010م.

سادسا– الأطروحات الجامعية:

64.أمال ردّاف: أشكال العنف في مدينة قسنطينة دراسة ميدانية بالمدينة الجديدة، علي منجلي، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007/2006م.

65.جمال معتوق: وجوه من العنف ضد النساء خارج بيوتهم، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1993م.

66.حسان راشدي: الرواية العربية الجزائرية مرحلة التحولات، صيرورات الواقع ومسالك الكتابة الروائية مقاربة بنيوية تكوينية، رسالة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002م/2003م.

67.حسيني صفوان حسام: ظاهرة العنف في الجزائر والصحافة المكتوبة دراسة وصفية تحليلية، أطروحة دكتوراه في علم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2005م.

68.مختار رحاب: العوامل السوسيوثقافية لظاهرة العنف لدى الشباب الجامعي، أطروحة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009م/2010م.

سابعا– الملتقيات:

69.عبد الرحمان تبرماسين وآخرون: السرد وهاجس التمرد في روايات فضيلة الفاروق، دار العربية للعلوم ناشرون، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ط1، 2012م.

70.عدلي محمد السمري: سلوك العنف بين الشباب، ورقة بحثية قدمت في الندوة السنوية السابعة، "الشباب ومستقبل مصر"، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، د ط، 2000م.

ثامنا– المواقع الإلكترونية:

www.alrowace.com/article.php2id:667..71

http:// www. diwanalarab.com/15/01. 2017/15:15..72

www.diwanalarab.com/spip.plop?article37074.73

11:15 2016/02/10 Pholofe.Foumarabia.Net.//t95.Aopic.74

Plilofe.foussarabia.net//t95 :topic 11/03/2015.14 :25.75

https :www.a ljazeer.net/encyclop.76

http//alpha-sos.org shoulherad.plip.77

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة	أ- ج
مدخل: مسار الرواية الجزائرية المعاصرة	6- 18
الفصل الأول: بحث في ماهية مصطلح العنف	
أولا: المفاهيم الأساسية للعنف	20
1- المعنى اللغوي	20
2- المعنى الاصطلاحي	21
ثانيا: أشكال العنف	26
ثالثا: العنف في العلوم الإنسانية والاجتماعية	34
1- العنف الفلسفي	34
2- العنف النفسي والاجتماعي	37
3- العنف الديني والثقافي	42
4- العنف الاقتصادي والسياسي	50

رابعا: تجليات العنف في الأعمال الروائية الجزائرية	56
الفصل الثاني: مظاهر العنف من خلال رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" للطاهر وطار	
أولا: التعريف بالروائي والرواية	60
أ- نبذة عن الروائي "الطاهر وطار"	60
ب- التعريف بالرواية	63
ثانيا: ملخص الرواية	68
ثالثا: مرجعية الرواية	70
رابعا: تجليات العنف في رواية الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي	72
خامسا: تقييم الرواية	80
خاتمة	84
قائمة المصادر و المراجع	87

ملخص:

يعتبر الأدب أيّا كان جنسه، انعكاسا للمجتمع، فهو فن يحمل في طياته مختلف التحولات التي يمر بها المجتمع عبر العصور، وبالتالي أصبح الأدب راصدا لمختلف جوانب الحياة والأدب الجزائري شأنه شأن الأدب العالمي.

ولعلّ أشد فترة عرفتها الجزائر بعد الاستقلال، هي فترة العشرية السوداء التي برزت بشكل لافت في التسعينات فأثرت بشكل كبير أو بآخر في النص الروائي الجزائري، الذي تجسده النصوص الإبداعية الروائية وسميّ بأدب الأزمة والواقع أن فترة التسعينات تجلت فيها المحنة وفرضت حضورها بقوة في الكتابة الروائية، باعتبار أنّ الرواية كجنس أدبي هي الوسيلة الأنسب للتعبير عن حياتنا المعاصرة، وبخاصة إذا كانت هذه الأخيرة متأزمة، من هنا جاء اهتمام الرواية بالأزمة التي طالت الواقع الجزائري طيلة عشرية كاملة، عصفت بالجزائريين وعرفت "بالعشرية السوداء" وسنين الجمر التي حملت طابع المأساة والتأزم.

الكلمات المفتاحية:

العشرية السوداء، الأزمة، العنف.